

روز الثالث عشر من التحرير  
في جيل المستعمر



# ثغرة الصليب

Looloo

[www.helmelarab.net](http://www.helmelarab.net)

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات . ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل : واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نبيل فاروق

## ١ - مهمة رجل واحد ..

انطلق رنين الهاتف المخاور لغراش ( أدهم صبرى ) فجأة ، فانتزع من سبات عميق ، وبدأ له ذلك الرنين المقطع كسيل من الرصاصات ، يخترق رأسه ، ويتفد غير خلاص معه بلا رحمة ، فالتقط سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول في صوت خامل متكامل ، لم يفارقه النوم بعد :

— من المتحدث ؟

تسلل إلى أذنه صوت الرائد ( وحيد ) ، زميله في إدارة المخابرات العامة ، وهو يقول في هدوء :

— كيف حالك يا سيادة المقدم ؟

تطلع ( أدهم ) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الساعة والنصف صباحا ، وعلمهم في صجر :

— فى غير حال يا ( وحيد ) ، على الرغم من أننى لم أستغرق فى النوم سوى فى الساعة والنصف صباحا ، بعد عودتى من الإدارة ، أى أننى لم أتم سوى ساعة ونصف ساعة منذ صباح أمس .

بدا صوت ( وحيد ) أقرب إلى الاعتذار ، وهو يفهم في  
حجل

— أعلم ذلك بامسيادة المقدم ، ويؤسفني أن أقلقت  
نومك ، ولكن سيادة اللواء المدير يريدك في مكتبه بسرعة .  
كانت العبارة تكفي ليتغير كل ذلك التكاسل والحمول  
من جسد ( أدهم ) ، الذي اعتلأ فجأة بنشاط عارم ، وهو  
يقادر فرائشه ، قائلاً في نبرات قوية :

— أبلغ المدير أنني في طريقى للإدارة على الفور

حاول ( وحيد ) أن يكرر اعتذاره مضمناً :

— يؤسفنى مرة أخرى أن .....

ولكن عبارته لم تكتمل أبداً ، فقد كان ( أدهم ) قد وضع  
ساعة الحائط ..

\*\*\*

كان من المستحيل على من يشاهد ( أدهم ) ، وهو يقادر  
شقيقه في الثامنة إلا الثالث صباحاً ، أن يتصور تلك الحالة التي  
كان عليها ، حيناً تلقى مكالمات زميله ( وحيد ) منذ عشر دقائق  
لفقط ، فقد كانت الحيوية تملأ وجهه ، وتعلن عن وجودها في  
كل خلية من خلاياه ، وكان يبدو شديد الوسامة بوجهه

الخليق ، وشعره القاحم المصقّف في عناية ، وتلك الخلّة  
السوداء الأنيقة ، التي تتأقظ مع قبضه الأيمن القاصع ،  
وتخفف من تناقضهما رباط عقده الرّمادنى ، الذي يشف عن  
ذوق رفيع ..

ولقد زينت وجه ( أدهم ) اضامة جذابة ، زادت من  
وسامته ، وهو يلتقى بجاره الأستاذ ( جميل ) أمام مصعد  
البنية ، ويحييه قائلاً :

— صباح الخير يا أستاذ ( جميل ) .. إنه يوم لطيف .. اليس  
كذلك ؟

حدّق الأستاذ ( جميل ) في وجهه بدهشة واستكار ، لم  
يحاول إخفاءهما ، وهو يقول :

— يوم لطيف ؟! .. إنه من أسوأ أيام فصل الشتاء على  
الإطلاق .. إن درجة البرودة تصل إلى خمس عشرة درجة مئوية  
على الأكثر ، والمطر ينهمر كالسبيل في الخارج .. كيف يمكن  
أن تصف مثل هذا اليوم بأنه يوم لطيف ؟!

اجسم ( أدهم ) ، وهو يتذكّر ذلك البرد القارص ، الذي  
كاد ينحر عظامه يوماً في معتقل ( سيبيريا ) ، حيث كانت

درجة البرودة تبلغ الأربعين تحت الصفر<sup>(\*)</sup> ، وقال في هدوء :

— ولكن مناخنا في ( مصر ) يُعَدُّ معتدلاً ، بالمقارنة بمناخ

العديد من الدول يا أستاذ ( جميل ) .. أليس كذلك ؟

عَدَّ الأستاذ ( جميل ) شغتي ، وهو يقول في لهجة متبرمة :

— بلى .. هذا صحيح .

وحصل المصنف في تلك اللحظة ، ودعا ( أدهم ) الأستاذ

( جميل ) ليتقدمه ، ثم لحق به داخل المصنف ، وضغط زُرَّ

المحوط إلى الطابق السفلي ، في حين سأله ( جميل ) في لهجة

تخفي وراءها الكثير من السخط والتساؤل :

— هل تعلم أنها أوَّل مرة نلتقي فيها في مثل هذا الموعد

يا أستاذ ( أدهم ) ؟

أراد ( أدهم ) أن يخبره أن السبب يعود إلى أنه يستيقظ

عادةً في الخامسة والنصف صباحاً ، ويتناول رياضة الغدو في

الطرفات المحيطة بمنزله حتى السادسة والنصف ، ثم يذهب إلى

الإدارة .. حيث يصلها في الساعة ثمانية ، وهو نفس الوقت

الذي يكون فيه الأستاذ ( جميل ) قد استيقظ على التو من لومه ،

(\*) راجع قصة ( القصص الجليدية ) .. المغامرة رقم ( ٤٥ ) .

ولكن طبيعته الحذرة جعلته يكتم ما يتسامه عادةً ، وهو

يقول :

— هذا من سوء حظي بالتأكيد .

أوماً الأستاذ ( جميل ) برأسه موافقاً ، ثم عاد يقول في

فضول واضح :

— لا زب أن عمك لا يحتاج للاستيقاظ مبكراً ، فأنت

تعمل بالأعمال الحرة حسبما يروِّد سكان البناية .. أليس

كذلك ؟

أجاب ( أدهم ) في هدوء ، على الرغم من أن تلك الأسئلة

قد أصابته بالملل :

— بلى .. ربما ..

عاد الأستاذ ( جميل ) يسأله في شغف وفضول شديدين :

— ما طبيعة تلك الأعمال بالضبط يا أستاذ ( أدهم ) ؟

كاد ( أدهم ) يتفجر ضاحكاً ، وهو يتخيل التصورات التي

سرتسم حفا على وجه الأستاذ ( جميل ) ، لئلا أخبره بحقيقة

عمله ، ولكنه كتم ضحكته ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ،

وهو يقول :



— إنها أعمال غير تقليدية يا أستاذ ( جميل ) .. أعمال خاصة

أنقذه وصول المستند إلى الطابق الأرضي من سؤال جديد ، ارتسم على ملامح الأستاذ ( جميل ) ، وانفجرت شفتاه لتلقى به ، لولا أن يادره ( أدهم ) ، قبل أن يغادر المستند في سرعة :

— فرصة سعيدة يا أستاذ ( جميل ) .. أرجو أن يتكرر هذا اللقاء مرة أخرى .

انعقد حاجبا الأستاذ ( جميل ) في استكار ، وهو يتابع بعصره ( أدهم ) ، الذي احترق مدخل النجاة في خطوات سريعة ، غير مبال بالمطر المنهمر في غزارة ، وفقر داخل سيارته ، وأداز محركها لتطلق به متعذرة ، وفتح الأستاذ ( جميل ) مظفئه ، وأحكم كوابله حول عنقه ، ثم رفع المظلة فوق رأسه ، واتجه إلى سيارته ، وهو يغمغم في سخط :

— يا له من شاب عاث ! من الواضح أنه من ذلك النوع الذي لا يشعر بالمسئولية قط ، وأن حياته لاهية رتيبة ، لا تحمل أي نوع من الإثارة .

وهز رأسه في ثقة ، قبل أن يزدف في تأكيد :

— إن نظرتي لا تخطئ أبدا ..

\*\*\*

استقبل مدير المخابرات ( أدهم مصري ) في مكتبه ، وصاحبه وهو يقول :

— من المؤسف أن تضطر لإيقاظك في مثل هذا الطقس ( يا ن أ ) ، ولكن تفوقك في عالم المخابرات منح ( مصر ) الحق في أن تناديك في أية لحظة ، مادامت تحتاج إليك .

غمزت المكان موجة من الحماس والحب ، مع حروف كلمات ( أدهم ) ، وهو يقول :

— ولكن بمعنى سوى الموت من تلبية هذا النداء يا سيدي .  
تطلع إليه مدير المخابرات بنظرة تحمل كل الفخر والاعتذار ، ثم ربت على كتفه في حرارة ، وهو يقول :

— هذا ما تنتظره منك ( مصر ) يا ولدي .  
ثم اتجه ليجلس خلف مكتبه ، وبسط راحته فوقه ، وهو يستلرد في اهتمام ، بدا وكأنه قد ملك كيانه كله .

— إن ( مصر ) تعاني في الآونة الأخيرة انتشار شككات التجسس ، على نحو يؤلمها يا ن أ — ١ ، ولا يكاد يمضي شهر أو آخر ، إلا وتلقى أجهزةنا القبض على جاسوس

أو جاسوسين، كما لو كنا على شفا حرب طاحنة جديدة ..  
 ويرُوعى أن أخبرك أن عدد شبكات التجسس الداخلية ،  
 التي تم الإيقاع بها ، خلال الأشهر الخمسة الماضية ، يفوق كل  
 شبكات التجسس التي أوقعا بها ، في الفترة بين حرب عام ألف  
 وتسعمائة وسبعة وستين ، وحرب أكتوبر عام ألف وتسعمائة  
 وثلاثة وسبعين ، مما جعل الأمر يتخذ صورة بالغة الخطورة ،  
 جعلتنا نحدد كل عملائنا في الداخل والخارج ، للسعى خلف بيز  
 انتشار شبكات التجسس في بلادنا على هذا النحو .  
 لآخ مرج من القلق والاهتمام في عيسى ( أدهم ) ، وهو  
 يسأله :

— هل تتبع كل هذه الشبكات من مصدر واحد يا سيدي ؟  
 قلب مدير المخابرات كفيه في خيرة ، وقال :  
 — هذا ما يبدو لنا يا ( ن - ٦ ) ، فكل هذه الشبكات  
 تعمل بنظام واحد ، وتضع وسيلة واحدة في جمع المعلومات ،  
 وإرسالها إلى الخارج ، ولكن ما من شبكة كانت تعلم شيئا عن  
 أفراد الشبكات الأخرى ، كما أن العناوين التي ترسل إليها  
 المعلومات تختلف من شبكة إلى أخرى .. ولكن ...  
 نطبق مدير المخابرات الكلمة الأخيرة بلهجة خاصة ،  
 جعلت ( أدهم ) يسأله في شغف :

— ولكن ماذا يا سيدي ؟

الجنى المدير إلى الأمام ، واستد بصدرة إلى خافة مكتبة ،  
 وهو يقول في اهتمام بالغ :

— لقد درسنا كل ذرة تراب أمكن العثور عليها ، عند  
 إيقاعنا بكل شبكات التجسس ، ونشنا كل شبر بحثا عن  
 طرف الخيط ، الذي يقودنا إلى مصدر هذه الشبكات ،  
 وهدفها ، حتى عثرنا بعد تضال وجهاد وعرق على ما بدا لنا أنه  
 طرف خيط ، نششنا به ، وفحصناه ، ومخصناه ، وسعينا  
 خلفه ، ولكننا عجزنا عن جذب الخيط كله من هذا  
 الطرف .

غمغم ( أدهم ) في شجة تحمل كل الفعالة :

— إنك تلهب فضولي يا سيدي .

نهض مدير المخابرات من مقعده ، واستدار بحسده كله ،  
 ليواجه خريطة العالم الضخمة ، المعلقة خلف ظهره ، أسفل  
 علم الجمهورية ، ووضع طرف سبائه على نقطة من أعلاها ،  
 وهو يقول :

— هنا انتهى الخيط .. في خط طول ( ٨٠ ° ) عرضي

( خط جرينتش ) <sup>(١٠٠)</sup> ، وعط عشرين ( ٨٠ ) شمالاً  
 ( خط الاسواء ) <sup>(١٠٠)</sup> .. هنا صاع المحيط من رجائنا  
 تطلع ( أدهم ) إلى حيث أشار مدير المخابرات ، فوجد  
 سبانه تستقر وسط جزيرة ( السمير ) ، في أقصى الشمال  
 الكندي ، وقفز ذهنه دون أن يدري ، محاولاً تصوّر درجة  
 البرودة في ذلك المكان ، الذي يسبح في اغيط القطبي  
 الشمالي ، في ذلك الوقت من السنة ، ولكنه طرد هذه الفكرة  
 من ذهنه في سرعة ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، الذي  
 أزدل في صيق واضح :

— هنا وجد رجائنا أنفسهم عاجزين عن العمل ، في  
 جزيرة يبلغ تعداد سكانها أقل من تعداد قرية مصرية صغيرة ،  
 ويبدو فيها الغريب مميّزاً واضحاً ، كما لو كان هزة سوداء على

(١٠٠) خط جرينتش : خط الطول الجغرافي الرئيسي . يمر بالمرصد  
 الفلكي الشهير ، الذي يستعمل منه توقيت ( جرينتش ) ، والذي يوجد  
 في ضاحية ( جرينتش ) بمدة ( لندن ) في ( إنجلترا ) .

(١٠٠) خط الاسواء : خط العرض الرئيسي جغرافياً ، ويقال عنه  
 أيضاً : خط الصفر الجغرافي .. وهو يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين :  
 شمالي وجنوبي ، وهو يقطع ( أمريكا الجنوبية ) ، و ( إفريقيا ) ،  
 و ( سمطرة ) ، وجزر ( موريش ) .

مسطح من الجليد الناصع البياض .. هنا انتهى بنا المحيط إلى مزيد  
 من القموض .

اعتدل ( أدهم ) ، وهو يسأل المدير في اهتمام بالغ :  
 — ألا توجد هناك مصانع ، أو شركات تجارية يمكن  
 التعامل معها ؟

ابتسم المدير ابتسامة مبسرة ، وهو يقول :

— لقد التقطت العبارة من فمي يا ( أدهم ) .. نعم ..  
 توجد هناك شركة تجارية واحدة ، ومصنع واحد ينبع لنس  
 الشركة ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لدخول ( السمير ) ،  
 بأقل قدر من إثارة الشكوك والتخذر ، فهذه الشركة تعتمد على  
 صيد وتصدير الأسماك القطبية ، ولها فروع في معظم دول  
 ( أوروبا ) ، وهناك شخص ما ، داخل هذه الشركة ، يدير  
 كل شبكات التجسس التي أوقفنا بها ، لهدف ما ، والوسيلة  
 الوحيدة للوصول إلى هذا الشخص ، وذلك الهدف ، هو  
 انتحال صفة رجل أعمال ، يسعى للتعاقد على شراء ، أو  
 استيراد منتجات الشركة .

نهض ( أدهم ) ، وابتسم في هدوء ، وهو يقول :  
 — أعتقد أنني أحتاج إلى العودة لتزلي أولاً يا سيدي ، قبل



أن أنطلق إلى ( كندا ) ، في شخصية رجل الأعمال هذا ،  
فلارهب أن درجة البرودة هناك تستصل إلى ماتحت الصفر  
يكثير . وثباني هذه لن .....  
قاطعه مدير التقارير في حزم :

— لقد أرسلت حقيقتك إلى المطار منذ ساعة  
( يا ن - ١ ) .. وستجد بها كل ما تحتاج إليه .  
اتسعت ابتسامة ( أدهم ) ، وهو يقول :  
— وماذا عن ( منى ) ؟

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :  
— ستبقى ( منى ) هنا يا ( ن - ١ ) .. إن مهنتك هذه  
المرّة لا تحمّل العنصر النسائي .. إنها مهنة رجل واحد .  
شعر ( أدهم ) بالظيق لأن ( منى ) لن ترافقه في مقامرة  
هذه المرّة ، إلّا أنه أجاب في ثبات :  
— كما تأمر يا سيّدي .

ثم استدار ليغادر الحجرة ، إلّا أن المدير استوقفه ، قائلاً :  
— ( أدهم ) ..

كانت كلمته تحمل دفء الدنيا كلها ، مما جعل ( أدهم )  
يستدير ليواجهه في هدوء : وهو يقول في صوت خافت :

— نعم يا سيّدي .

صمت مدير التقارير لحظة ، وهو يتأمله في إيمان ، ثم  
قال في صوت غلب عليه التأثر :

— اصعد على أن تعود إلينا سالفاً .  
امتلاّت ملامح ( أدهم ) بعزم قوي ، وهو يقول في صوت  
غلبه الحماس :

— ( مصر ) أولاً يا سيّدي .  
وانطلق ليبدأ عملياته الجديدة ، في مناخ تحت الصفر .

\*\*\*





## ٢ - الكمبيوتر ..

تذكر ( أدهم ) حديث جاره الأستاذ ( جميل ) ، عن سوء المناخ في القاهرة ، وهو يتطلع غير تلك النافذة الزجاجية البالغة الضخامة ، في زفة الفندق الذي يقيم فيه في جزيرة ( يافا ) الكندية ، إلى الطلوع التي تمتد أمام عينيه إلى ما لا نهاية ، وتغمر أسطح السيارات والمنازل ، وتغطي الطرقات برداء أبيض بارد ، وعلى الرغم من أجهزة التكييف القوية ، التي تملأ الفندق ، وعلى الرغم من الأخشاب المشتعلة في مدفئه الحقيقة ، إلا أن درجة البرودة داخله كانت تنخفض كثيراً عن مثلها في ( القاهرة ) .

ولقد شعر ( أدهم ) بمدى صعوبة مهنته في اليوم الأول لوصوله إلى ( كندا ) .. فلقد كانت جزيرة ( إسمير ) ، التي يسعى الوصول إليها - تبدو في هذا الوقت من العام كمنطقة محرمة - منعزلة ، إذ كان الوصول إليها يحتاج إلى الكثير من الاحتاطرة ، باختراق محيط متجهد ، بالإضافة إلى ضرورة الحصول على تصريح خاص من شركة الصيد ، التي يملكها الملياردير

( هنريك إدوارد ) ، بحكم كونها صاحبة الحق في استغلال المكان ..

ولقد أبقى ( أدهم ) إلى الشركة ، يطلب مقابلة مديرها ، وصاحبها ( هنريك إدوارد ) منذ خمسة أيام ، قضاها في فدفه ينتظر الجواب ، وقد كاد الملل يقطله ، ويعصف بكائه ، حتى لقد راودته اليوم فكرة البحث عن وسيلة للتسلل إلى الشركة ، والتزاع ( هنريك ) من مقفده ، وإجباره على الاعتراف بأنه الرجل الذي يدير كل شبكات التجسس في ( مصر ) ، إلا أن الفكرة بدت له شديدة السخافة ، وهو يتطلع إلى التلوج في تلك اللحظة ..

ويتها هو مستغرق في أفكاره ، سمع من خلفه صوتاً هادئاً ، مهدباً ، يقول :

— مستر ( أندريه صائد ) حسباً أعتقد .. ليس كذلك ؟ استدار ( أدهم ) في هدوء ، لواجه محدثه . وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التي ملأت أعماقه ، والتي أنبأته أن لحظة العمل قد حانت ، بعد خمسة أيام من الحمول ، وتطلع في إمعان إلى وجه محدثه الشاب ، الأشقر الشعر ، الأزرق العينين ، الهادئ الملامح .. ولقد بدت له تلك الملامح ذات طابع المألوف أصيل ، قبل أن يستطرد الشاب في هدوء :



استدار (أدهم) إلى عدوه ، ليواجهه بحذنه ، وهو يجاهد  
لإخفاء تلك اللهفة التي ملأت أعصابه ..

— أقدم لك نفسي .. ( فون دريك ) .. مدير العلاقات  
العامة بشركة ( إدواردز ) لصايد الأسماك القطبية .  
مذ ( أدهم ) يده يضافح الشاب في هدوء ، وهو يقول  
بلغة فرنسية سليمة :  
— يسعدني لقاءك يا هو ( فون دريك ) .  
ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يردف بالإنجليزية  
تعمل اللكنة الفرنسية :  
— معذرة يا صديقي .. لقد نسيت أنكم تتحدثون  
الإنجليزية هنا .  
ارتسمت على شفهي ( فون دريك ) ابتسامة رسمية  
مهذبة ، وهو يقول :  
— لا بأس يا ماستر ( أندريه ) .. إنني أجد الفرنسية أيضا  
رفع ( أدهم ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يهتف :  
— رائع .. ذننا نتحدث بالفرنسية إذن ، فأنا أحسن  
ألا تعاونني إنجليزيي على حسن الحوار .  
هو ( فون دريك ) كفيف ، وهو يقول بالفرنسية :  
— كما يجلو لك يا مسيو ( أندريه ) .  
قاده ( أدهم ) في هدوء إلى مقعدتين متجاورتين بخوار  
المدفأة ، ومال نحوه يسأله في اهتمام :

— ماذا أصاب شركتكم يا صديقي ؟ .. إننى أنتظر جواب  
برقيتى منذ خمسة أيام !

عاد ( فون دريك ) يرسم على شففيه تلك الابتسامة  
المهذبة ، وهو يقول فى هدوء :

— معدودة يا ميسو ( أندريه ) ، فلم تصلنا برقيتك سوى  
أمس ، ولقد أمرنى مستر ( هنريك ) بالتقدم إليك على  
الفور .

عاد ( آدم ) يرفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو  
يقول :

— التقدم إلى ؟ .. يبدو أنكم قد أسأتم فلهم برقيتى  
يا صديقى ، فلقد طلبت أن أذهب أنا إليكم ، لأن تأتوا أنتم  
إلى هنا !

احتضت ابتسامة ( فون دريك ) ، وهو يقول فى لهجة  
حاذقة ، أقرب إلى الصرامة :

— ربما أمكننا أن نمنحك ماتريد هنا يا ميسو ( أندريه ) ،  
ودون الحاجة إلى تحميمك مشقة الحضور إلينا ، فى هذا  
الطقس المروع .

كان ( آدم ) يتفلسف هذا الجواب ، وكذلك كانت

الغابرات المصرية تتوقعه ؛ لذا فلم يبد أى أثر للإحباط  
أو الدهشة على وجه ( آدم ) ، وهو يسترخى فى مقعده ،  
قائلاً :

— لا بأس .. لو أنك تملك حق إصدار القرار .

أجاب ( فون دريك ) فى بروح :

— كلنى آذان صاغية يا ميسو ( أندريه ) .

زفر ( آدم ) كرجل أعمال لا يزوفه أسلوب التعامل  
معه ، وقال :

— حسناً .. إنكم شركة كبرى ، ولكم فروع فى معظم

دول ( أوروبا ) ، ولكن ماذا عن ( آسيا ) ؟

غمغم ( فون دريك ) فى خيرة .

— ماذا تغنى يا ميسو ( أندريه ) ؟

مال ( آدم ) نحوه ، وهو يقول فى حماس :

— ماذا لو أننى حصلت على حتى توزيع منتجاتكم فى

( آسيا ) كلها : شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ؟ سيكون

هذا رائعاً .. مستلوق ( آسيا ) الأشماك القطبية ، وتغرم

بها .. و.....

فأطعمه ( أندريه ) فى هدوء :



الأسويرون لديهم ما يكفهم من أسماكهم يا مسيو  
( أندريه ) .. فهناك المصايد اليابانية للأسماك ، والتي تعد من  
أكبر مصايد الأسماك في العالم ، ومصايد ( هونج كونج ) ،  
( تاوان ) ، و ( فيتنام ) ، ثم إنه هناك مصايد الأسماك  
القطبية السوفيتية ، و .....

قاطعه ( أدهم ) هذه المرة في حماس :  
— سنهزم كل هذا يا صديقي .. سنحطمهم تحطينا ..  
سيذهب أسماكنا أجود ، وبسر أقل .  
عقد ( فون دريك ) حاجبه ، وهو يقول في دهشة :  
— بسر أقل من ( تاوان ) و ( هونج كونج ) ؟  
مال ( أدهم ) نحوه ، ورسم على وجهه علامات الخبث ،  
وهو يمس في شجة من يكشف سرا بالغ الخطورة :  
— إن لدى لحظة رائعة .

خل ( فون دريك ) يتطلع إليه طويلا ، في نظرات بدت  
وكانها تنفذ إلى ما تحت جلد ( أدهم ) ، الذي ظلت ملاحظته  
على حالها ، حتى غمغم ( فون دريك ) في هدوء :  
— كم تصوّر حجم تعاملك معنا ستونيا يا مسيو ( أندريه ) ؟  
عاد ( أدهم ) إلى وضعه الأول ، وملاظهر مقعده بكثفه  
العريضتين ، وهو يلوح بكفه ، قائلا :

— مليار دولار .

رفع ( فون دريك ) حاجبه في دهشة بالغة ، وردد في  
خبرة :

— مليار دولار ؟

ثم شبك أصابع كفه أمام وجهه ، وعقد حاجبه ، وهو  
يفكر في عمق ، قبل أن يقول في هدوء :

— لست أعتقد أنني أملك حق اتخاذ القرار في صفقة  
ضخمة إلى هذا الحجم يا مسيو ( أندريه ) .

لوح ( أدهم ) بذراعيه ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أقصده ، حينما أخبرتك أنه من الضروري  
أن أذهب أنا إليكم .. إن حجم الصفقة يستلزم مناقشتها مع  
مسيو ( هنريك ) نفسه .

مرة أخرى عاد ( فون دريك ) يتطلع إلى ( أدهم ) طويلا ،  
ثم همّ بالتهوّن ، وهو يقول :

— حسنا يا مسيو ( أندريه ) ، سأبلغ مسيو ( هنريك )  
بالأمر ، و .....

هتف ( أدهم ) في شجة الرجل الذي نفذ صبره :

— يا إلهي !! لقد أضعت خمسة أيام كاملة .

ابسم ( فون دريك ) هذه المرة ، وهو يقول :  
— اطلن يا مسيو ( أندريه ) .. لن تشرق شمس المد  
إلا وانت في ( السمير ) .

\*\*\*

عقد ( هنريك إدوارد ) حاجيه ، وهو يستمع إلى  
( فون دريك ) في اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وهو يسأل :  
— مليار دولار ١٢ .. ألا يبدو لك الأمر مثيرا للشك ؟  
توج ( فون دريك ) بذراعه ، وهو يقول :  
— يبدو أنه شديد التفاؤل بالنسبة لنجاح مشروعه .  
أوما ( هنريك ) برأسه بلا معنى ، قيل أن يغمغم :  
— هذا إذا ما كان هناك ملياردير فرنسي بهذا الاسم حقا .  
ابسم ( فون دريك ) ، وهو يقول :  
— لقد غرّبت هذه النقطة بالذات يا هنر ( هنريك ) ،  
خلال الأيام الخمسة الماضية ، ولقد وجدت أنه يوجد بالفعل  
ملياردير فرنسي يدعى ( أندريه صاند ) ، ولكننا لم نحصل على  
صورته بعد .

بدأ الاهتمام على وجه ( هنريك ) ، وهو يقول :  
— وهل حصلت على صور الرجل الذي قابلته ؟

أوما ( فون دريك ) برأسه إعجابا ، وقال :  
— نعم .. لقد قام ( جورج ) بعمل رائع ، والتقط حسن  
صور فوتوجرافية واضحة للرجل ، حينما كنت أتحدث إليه في  
الفندق ، وهاهي ذى .

وأعقب قوله بالنقاط الصور الخمس من جيب معطفه ،  
وتسليمها له ( هنريك ) ، الذي تأملها في إمعان ، قبل أن  
يقول :

— حسنا .. فلتز ماذا يقول عنه الكمبيوتر ؟  
ثم دفع أكثر الصور وضوحا داهل تجويف خاص ، في  
جهاز كمبيوتر حديث ، وضغط أزراره وهو يقول :  
— سيدهشني لوجاءت إجابة الكمبيوتر سلبية .  
ثم لم تلبث عيناه أن تألفتا على نحو غيظ ، وارتسمت على  
شعبه ابتسامة فجسرت قبلة من الفلق في أعماق  
( فون دريك ) ، وهو يقول :  
— يبدو أننا قد وقصنا على صيد أكبر مما كنا نتوقع يا عزيزي  
( فون دريك ) .

فقر ( فون دريك ) من مقعده ، ودار حول مكتب ( هنريك )  
في لحظة ، لينطلق إلى شاشة الكمبيوتر ، التي ارتسمت فوقها

صورة واضحة لـ (أدهم صبرى) ، بدون الشارب الضخم ،  
والنظار الطبي ، اللذين أعفى بهما ملاحظته ، وهو يستقل  
( فون دريك ) ، وتحت الصورة كلمات تقول :

— الاسم : (أدهم صبرى) .. المهنة : ضابط مخبرات  
مصرى .. الصفة المميزة : أخطر ضابط مخبرات فى العالم .

\*\*\*

امتنع وجه ( فون دريك ) ، وغمغم فى صوت شاحب  
مخفق :

— يا للشيطان !!

أما ( هنريك ) ، فقد أخذ يقرأ المعلومات المرتفعة على  
شاشة الكمبيوتر فى صوت مسموع ، دون أن تخفى  
إصابعه :

— الرمز الكودى : ( ن - ١ ) .. لم يتعرض لهزيمة واحدة  
طوال عمله فى المخبرات المصرية .. تسعى خلفه كل التنظيمات  
الإجرامية القوية فى جميع أنحاء العالم .. لا يميل إلى إراقة الدماء ،  
ولكنه فائق الذكاء ، بالغ القوة والجرأة والحساسة .. لم يمكن  
حصص كل المهارات التى يجيدها .. فشلت كل محاولات  
التخلص منه .

ثم التفت ( هنريك ) إلى ( فون دريك ) ، مستطردا فى  
برود :

— إذن فهو رجل أعمال متفائل يا صديقى ..  
وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، ازداد لها امتناع وجه  
( فون دريك ) ، قبل أن يستطرد :

— رائع هو جهاز الكمبيوتر هذا .. إنه يدرس الملاحق فى  
دقة ، ويكشف صاحبها ، مهما أتقن تكبره .. إنه يستحق  
الملع الضخم ، الذى أنفقته للحصول عليه .. ولأول مرة  
أشعر أن المعلومات التى نشتريها من ( الموساد ) تستحق ثمنها .  
هتف ( فون دريك ) فى شحوب :

— سرفض قدومه إلى هنا بالطبع .

أطلق ( هنريك ) ضحكة أخرى قوية ، ثم قال :

— يا للشيطان !! .. أنتظاهر بالغباء يا ( فون ) ، أم أن هذه  
حقيقتك ؟ .. إن قدوم أخطر ضابط مخبرات مصرى إلى هنا ،  
يقضى أن المصريين قد توصلوا إلى أننا خلف كل شيكات  
التجسس ، التى أوقعوا بها فى الشهور الخمسة الأخيرة .. ونحن  
لا ندرى ماذا لديهم فوق ذلك ، وهذا يقضى ضرورة إحضار  
ضابطهم إلى هنا .



هاتف ( فون ديريك ) في استكار :

— وماذا لو نجح في معرفة سرنا الأكبر ؟

هز ( هنريك ) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— سيكون عليه حيتل أن يفادر ( السمر ) ، لينقل

مأخذه إلى رؤسائه ، ومغامرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله

يا عزيزي .

وفي هذه المرة شاركه ( فون ديريك ) ضحكته الشيطانية ..

\*\*\*



### ٣ — أنفاس من ثلج ..

جاء الصباح التالي قارص البرودة ، وتدنّت درجة الحرارة حتى بلغت الأربعين تحت الصفر ، ولكن ذلك لم يمنع هبوط الهليوكوبتر ، الخاصة بشركة ( إدواردز ) لصايد الأسماك القطبية ، في ساحة الفندق ، الذي يقم فيه ( أدهم ) ، الذي شعر بالبرودة تكاد تجسد أنفاسه ، وهو يستقبل ( فون ديريك ) ، هائفاً :

— مرحباً يا صديقي .. هل أتيت لتصحني إلى ريسك ؟

انهم ( فون ديريك ) انصامة لم ترق لـ ( أدهم ) ، وهو يقول :

— إنه ينتظرك في غرفة يا ميسو ( أندريه ) .

وتبعه ( أدهم ) إلى الهليوكوبتر ، التي بدت وكأنها كُرّة من الثلج ، وهي ترتفع في طريقها إلى ( السمر ) ، في حين قال ( فون ديريك ) في برود ، يفوق برودة الطقس :

— سيكون عليك احتمال البرودة طوال ساعة كاملة يا ميسو

( أندريه ) ، فنحن لا نستخدم أجهزة التكييف داخل

المليوكوتر ، إذ يؤدي استخدامها إلى تكاليف البخار على رجاحها ، وهذا يعوق قالدعا عن الرؤية .

غمغم ( أدهم ) في هدوء :

— إننى أقدر هذا .

وبعدها لم يتبادل كلمة واحدة مع ( فون دريك ) ، طوال رحلتها إلى ( السير ) ، حتى هبطت بهم المليوكوتر في مهبطها الخاص ، على سطح مبنى الشركة ، فغادرها ( فون دريك ) و ( أدهم ) ، الذى غمغم في سخط ، وكأنه رجل أعمال يحتر بمرائه :

— لماذا لم يستقبلنى مير ( هنريك ) ؟

اتسم ( فون دريك ) في خبث ، وهو يقول :

— لا تتحلى ياميسو ( أندريه ) ، سيم كل شيء في موعده .

هبط الإلنان بواسطة مصعد صغير إلى الطابق الثالث من المبنى ، وصر ( أدهم ) لأوّل مرّة ، منذ وصوله إلى كندا ، ، بالدفة ، فهتف في انبهار مصطنع :

— يا إلهى !!... إن الأمر يبدو وكأننا قد انتقلنا فجأة إلى

( أكابولكو )<sup>(١٠)</sup> ، وقفز بنا الزمان إلى شهر يوليو .

اتسم ( فون دريك ) ، وهو يقول :

— لقد تكلفت أجهزة التكيف هنا عشرة ملايين دولار .

رفع ( أدهم ) حاجبيه ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وألقى فكه السفلى إلى أسفل ، شأن الرجل الذى ملائته الدهشة ، وهتف :

— عشرة ملايين دولار لأجهزة التكيف فقط ؟ لا ريب

أن مير ( هنريك ) بالغ الثراء !!

غمغم ( فون دريك ) في هدوء :

— هذا صحيح .

توقف بهما المصعد في الطابق الثالث ، وفوجئ ( أدهم ) بأربعة رجال بصوّيون مسدساتهم نحوه ، وهو يغادر المصعد . فهتف في استكار :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

أشار ( فون دريك ) إلى الرجال الأربعة : فخفضوا أفواههم مسدساتهم ، وأعادوها إلى أحزمتهم ، وقال هو في هدوء :

(١٠) أكابولكو : مصيف شهير في المكسيك ، يطلق عليه اسم

( مصيف الأثرياء ) .

— إنه إجراء أمن عادي يا ميسو ( أندريه ) .. قلو ألي  
لا أصحك ، لكأن عليهم إطلاق النار بلا تردد .  
عقد ( أدهم ) حاجبه ، وهو يقول :  
— إجراء عجب . حاصّة وأن جزيرة ( السمير ) لقد  
مغلقة نظرياً .  
قط ( فون دريك ) شفته ، وهو يقول في برود :  
— يمكنك أن تقول إن ميسو ( هنريك ) شديد الحرص .  
غمغم ( أدهم ) . وهو يخطو عبر الممر ، المتصد أمام  
المضعد .

— نعم .. إلى درجة مبالغ فيها للغاية .  
وفجأة .. ارتفع رنين أجراس قرية ، وانزعج الحراس  
الأربعة مسلّحين في حركة سريعة ، وارتست على وجوههم  
خراطة رهيبة . وهم يصيرونها نحو ( أدهم ) ، في حين قال  
( فون دريك ) باستماعة باردة :  
— لقد خالفت تعليمات الأمن يا ميسو ( أندريه ) .. إنك  
تحمل سلاحاً أسفل معطفتك .  
ابتسم ( أدهم ) في هدوء ، وأخرج من جيب معطفه  
مسدساً كبيراً ، فأوله له ( فون دريك ) ، وهو يقول :

— إنك لم تعلمي أن هذا المنوع . إنني أحمل مسدس  
الخاص دائماً . إنه ضروري بالنسبة لرجل أعمال مثل  
النقط ( فون دريك ) المسدس في هدوء ، وعقد حاجبه  
حينما وجد أنه لم يسي الصّبح . ثم أشار إلى الرجال الأربعة مرة  
أخرى . فعادوا يحفظون أسلحتهم ، وأوقف أحدهم رنين  
الأجراس المزعج ، على حين استطرد ( أدهم ) في هدوء :  
— إذن فأنتم تستخدمون ذلك الجهاز السخيف ، الذي  
يستخدمونه في المطارات .. لقد بدأت أميل إلى أن ميسو  
( هنريك ) هذا مصاب بالوسواس القهري  
ابتسم ( فون دريك ) ، وهو يقول :  
— احترس يا ميسو ( أندريه ) .. إنه يسمعك الآن في  
وصوح ، غير أجهزة دقيقة ، تختفي في تقوش الخالط ، ترسل  
إليه صورتك وصوتك .  
ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وهو يلمغم :  
— هذا طريق .  
ثم توقف أمام الحجرة الوحيدة في نهاية الممر ، واستطرد في  
هدوء :  
— لو سبنا طبقاً للقواعد ، فستكون هذه هي حجرة  
الرقيم .



لم يكذب عمارته ، حتى تحرك باب الحجرة في هدوء .  
وظهر خلفه رجل وسيم . أسود الشعر ، فيما عدا فؤدين  
وحظهما الشيب . يسيرون إلى عمرة الذي تجاوز الخامسة  
والأربعين عاماً أو بعض عام ، واتسم الرجل ، وهو يقول في  
هدوء شديد :

— مرحبا بك في شركتي يا ماستر ( أندريه ) . أقدم لك  
نفسى أنا ، هنريك إدوارد .

صافحه ( أدhem ) في هدوء ، وهو يقول :  
— نسعدنى لقاءك يا ماستر ( هنريك ) ، ولكنى أعترض  
كثيراً على أسلوبك في استقبال ضيوفك .  
لم تد على ملامح ( هنريك ) أية تعيرات ، سوى أنه أغلق  
غيبه ولحظهما بلا مبرر ، ثم أفصح الطريق لـ ( أدhem ) ،  
وأشار إليه بالدخول ، وهو يقول :

— متناقش هذا فيما بعد يا ماستر ( أندريه ) .  
دخل ( أدhem ) إلى حجرة المكتب الفاخرة ، وتبعه  
( فون دريك ) ، ثم أغلق الباب خلفهما في هدوء ، فاستم  
( أدhem ) وهو يقول :  
— يبدو أنك مغموم بالآليات يا ماسيو ( هنريك ) .

أجاب ( هنريك ) في هدوء :

— إلى حد الجنون يا ماستر ( أندريه ) . إننا غيا في الربع  
الآخر من القرن العشرين ، ولقد أصبح كل شيء يدار  
بالكمبيوتر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفهي ( أدhem ) ، وهو  
يقول :

— إننى أفضل الوسائل القديمة .  
اتسم ( هنريك ) ، وهو يقول :  
— ولكن الوسائل الحديثة أكثر سرعة وفعالية يا ماستر  
( أندريه ) . .. إنها تجعلك تلعب العالم بأصابعك ، دون أن  
تفارق مقعدك .

ثم استقر خلف مكتبه الأنيق ، قبل أن يستطرد في برود :  
— ألا توافقنى على هذا يا ... يا ( ن - ١ ) ؟  
تحفرت عضلات ( أدhem ) كلها ، حينما سمع ( هنريك )  
بخطابه بلقبه السرى ، ولذت منه حركة لوجى باستعداده  
للاتقضاض على ( هنريك ) بلا تردد ، لولا أن ارتفع صوت  
( فون دريك ) من خلفه ، يقول :  
— لا نحاول يا ماستر ( أدhem ) . .. إن مهندس مصوب إلى

رأسك مباشرة ، وسأشعر بسعادة جمّة لو اضطررتني لإطلاق  
رصاصاته عليه .

\*\*\*

لا أحد يمكنه أن يتصور مدى الحق ، والخط ،  
والغضب ، والإحباط في أعماق ( أدهم ) ، في تلك  
اللحظة .

لقد رأى الخطة المنحكمة ، التي أعدتها المخابرات  
المصرية ، في براعة منقطعة النظير ، تهاجر فجأة ، دون أن  
يبدى لذلك سبباً . ولقد ملأ هذا نفسه بكل تلك المشاعر  
السابق ذكرها ، إلا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وأصيغت إليها  
ابتسامة ساخرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— تحذرة طريقة أيا الوعدان . . . والآن ماذا تنتظران أن  
أفعل ؟ . أأفقد الوعي ، أم أهب كفى بالتعصيق ؟

ابتسم ( هنريك ) ، وهو يقول في هدوء :

— لا هذا ولا ذاك يا مستر ( أدهم صبرى ) . . كل  
ما نريده منك هو أن تجلس هادئاً ، ونغرينا بكل ما لدى  
المخابرات المصرية بشأننا .

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول متهمكماً :

— هل أخبرتكم آياتك أنني سأفعل ذلك بهذه البساطة أيا  
الوعد ؟

هتف ( فون دريك ) في خفق :

— ستفعل أو أطلق النار على رأسك .

استدار إليه ( أدهم ) في هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض  
بالتحدى ، جعلت المسلم يرتعد في يديه ، حينما خرج صوت  
( أدهم ) من بين شفاه قاسياً كالصلب ، بارداً كالثلج :

— إننى أكره أسلوب التهديد أيا الأناستى . . أطلق  
مسدسك أو أعدّه إلى جييك .

احتقن وجه ( فون دريك ) في شدة ، وهو يهتف في غضب :  
— ستوردك صفاقتك هذه مورد التهكّة أيا المصرى .  
أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة أخرى ، زادت من خفق  
( فون دريك ) وغضبه ، قبل أن يقول :

— حاول ألا تجعل صوتك مرعجاً هكذا ، وأنت تلقى  
التهديدات أيا الوعد .

صرخ ( فون دريك ) في غضب هادر :

— سأقتلك . . سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أقوله في حياتي .  
ودوى في الحجرة صوت طلق نارى ، أصاب هدفه في إيقان . .

\*\*\*

## ٤ - الهدف ..

لو أن فنانا مقبورًا أراد أن يرسم لوحة متميزة ، تفخر به إلى عالم الشهرة والخلود ، وتحمل اسم ( الدهول ) ، ما كان عليه إلا أن يحمل ريشاته والوانه ، وينقل إلى حجرة ( هيريك ) ، ويعمل جاهدا على نقل ملامح هذا الأخير ، وملاحم معاونه ( فون دينك ) في لوحه ، فقد كان كلاهما في تلك اللحظة صورة مجسمة للدهول ، وهما يحلقان في ذلك المسلسل ، الذي يمسك به ( أدهم ) في استخفاف ، والذي التقطه من جيب معطفه في سرعة مذهلة ، وأطلق منه تلك الرصاصة الصائبة ، التي أصابت هدفها في إتقان ، وطوّحت بمسلسل ( فون دينك ) إلى الركن البعيد من الحجرة ..

ومضت فترة من الصمت ، بدت خلالها اصماعة ( أدهم ) الساحرة وكأنها غلّا الحجرة ، قبل أن ينفث ( فون دينك ) في دهول :

— ولكنّ جهاز كشف الأسلحة قد ...

قاطعه ( أدهم ) في سخرية :



استدار إليه ( أدهم ) في هدوء ، وواجهه بنظرة تلجج بالتحدي . جعلت المسلسل يرتعد في يديه ..



— ألم أقل لكم أنني أفضل الوسائل القديمة ؟ إن هذا  
المسدس مصنوع بأكمله من البلاستيك ، حتى رصاصاته كلها  
من البلاستيك القوي ، وهو أحدث صيحة في عالم الأسلحة ،  
المعدة خصيصًا لخداك جهازكم الحديث .. ولو أنكم اكتفيم  
بتفشي يدويًا ، لعزتم على المسدسين ، ولكنت الآن أعزل  
نفسهم ( هنريك ) في خلق :

— لن يمكنك أن تغادر هذه الجزيرة حيًا ، فرجالي الأربعة  
في الخارج ...  
قاطعه ( أدهم ) في هدوء :

— بمناسبة ذكر أوغادك الأربعة ، كيف اتفق إليهم لم يرعوا  
إلى هنا فور سماعهم الطلق التاري ؟ اليس هذا من صميم  
عملهم ؟

استفن وجه ( هنريك ) ، وهو يقول :

— إن جدران مكسي عازلة للصوت .

انهم ( أدهم ) ، وهو يقول :

— هذا أفضل بالتأكيد .

اكتست ملامح ( هنريك ) لهجة بصراصة عنيفة ، وهو  
يقول :

— لو أنك تتصور أن مسدسك سيجعلك تحصل متى عل  
حرف واحد فأنت .....

قاطعه ( أدهم ) مرة أخرى في برود :

— ومن قال أنني أنوي أن أفعل ذلك ؟

تطلع إليه ( هنريك ) و ( فون دريك ) في دهشة ، وتحولت  
دهشتها إلى رجفة قوية ، حينما صوب مسدسه إلى رأس  
( هنريك ) ، قائلاً في برود :

— لقد أتيت إلى هنا لهدف يختلف أياً البوغد .. وهذا  
الهدف يقتصر على قتلك بلا رحمة ..

\*\*\*

كان ( أدهم ) يتوقع أن ينهار ( هنريك ) إزاء هذا  
الموقف ، على الرغم من الصرامة اليازية في ملامحه ، إلا أن  
( هنريك ) تطلع إليه في دهشة لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن  
انهم في هدوء ، ثم غمرت ابتسامته وجهه كله ، قبل أن  
تتحول إلى ضحكة قوية ، أثارت دهشة ( فون دريك ) بأكثر  
من فعلت بـ ( أدهم ) ، قبل أن يقول ( هنريك ) في سخرية :

— إنك لن تخيفني بهذا التهديد يا مستر ( أدهم ) ، ولن  
تقدعي به شيئاً .. فلقد نقل إلى الكمبيوتر كل ما تصف به ،

ولقد أخذت تلك تكره إرافة الدماء ، وأنا أصدق كل ما تأتي به  
الأجهزة الحديثة يا مستر ( أدهم ) .. ألم أقل لك إنني نعيم  
بالآليات إلى حد الجنون ؟

حافظ ( أدهم ) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :  
— ألم تقل إليك آليات اللعنة ، أنى أهوى تحطم أنوف  
من يرفضون الانصياع لأوامري أيا الوغد ؟

مط ( هنريك ) شقيقه في أسف ، وجلس على مقعده الكبير  
خلف مكتبه ، وبسط كفيه على سطح المكتب ، وهو يقول :  
— إننى أكره أن يفعل فى أى مخلوق هذا ،

وزفر فى عصى ، ثم أشار إلى ( أدهم ) فى استسلام ،  
مردفاً :

— تقدم يا مستر ( أدهم ) .. سأخبرك بكل ما ترغب فى  
معرفة .

تقدم ( أدهم ) خطوة واحدة إلى الأمام ، ثم توقف فجأة  
حينما أدرك أن استسلام ( هنريك ) السريع يدعو للريبة  
والشك ، ولكنه أدرك ذلك متأخراً لسوء حظه ..

كانت هفوة من ( رجل المستحيل ) ، لم تستغرق سوى جزء  
من الثانية ، ولكن هذا الوقت الضئيل كان يكفى ( هنريك ) ،

ليصط على براحته على حافة مكتبه ، ففتلح فجرة أسفل قدمي  
( أدهم ) ، الذى وجد جسده نهوى داخل أسطوانة واسعة  
مظلمة ، قبل أن تطلق الفجوة فوقه فى سرعة ..

\*\*\*

اقترن سقوط ( أدهم ) ، فى تلك الهوة العميقة المظلمة ..  
بضحكة شيطانية ساخرة شامتة ، أنجتها حجرة ( هنريك ) ..  
وأطلقها شفتاه ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، صائحا فى  
زفه :

— يا للأحق المفرور الـ أهل كان يتصور أنه سيهزم الأسد فى  
عرينه ؟

شاركه ( فون دريك ) ضحكته بمزيد من الانفعال ، قبل  
أن يشير إلى حيث سقط ( أدهم ) .. هائفاً :

— ها هي ذى نهاية الشيطان ، الذى هزم أعظم وأقوى  
معتقدات الحاسوبية والإجرام فى العالم .. سيقتضى نجمة جوعا  
وعطشا فى قبو مظلم ، على عمق خمسة عشر مترا فى باطن الأرض  
لوح ( هنريك ) بذراعه ، وهو يضحك قائلا :

— أراهنك أنه لن يقتضى نجمة جوعا وعطشا ، فالقنوط غير  
مكثف الهواء ، وستبلغ درجة برودته الثلاثين تحت الصفر على

الأقل . أضف إلى ذلك أنه مُخَكَّم الإغلاق ، وتستجد أن  
صاحبا لن يحصل إلا يوما واحدا على الأكثر .  
عاد القلق يكسر وجه ( فون دريك ) . وهو يغمغم :  
— ولكن كيف نبرر عدم غودته إلى ( بافن ) ؟  
ملا ( هنريك ) وجهه بانسامة هائلة والثقة . وهو يقول :  
— أتوكل في هذا الأمر .  
ثم أردف وقد ازدادت ابتسامته اتساعا :  
— يمكنك أن تغلق ملف ( أدهم صبرى ) هذا إلى الأبد .

\*\*\*

من حسن حظ ( أدهم ) ، أو من سوء تخطيط ( هنريك ) ، أن  
الأسطوانة التي الزلق داخلها ، حتى وصل إلى ذلك القبو  
المظلم ، على عمق خمسة عشر مترا في باطن الأرض ، كانت  
مائلة بزاوية قدرها عشرين درجة على الانحناء العمودي . فلو  
أنها عمودية تماما ، لضغط جسمه وهو يوى من ارتفاع ثلاثة  
طوايق ، إلى عمق كهذا . أما مع ذلك الميل البسيط ، فقد  
الزلق جسمه على حافة الأسطوانة الداخلية ، حتى أنه لم يسقط  
على نحو عمودي إلا غير عشرة أمتار فقط . ولولا مرونته ، التي  
جعلته يشي ركبته ، حين ارتطم بالأرض ، ما حاق من تعظم  
ساقه وتهشمهما .

وكان القبو مظلمًا تماما ، ورطبًا وباردا كاللحج ، حتى أن  
عظام ( أدهم ) كادت تن من شدة البرودة ، ولقد كشف  
مذ الدقائق الأولى ، أنه ليس أول ضحية لقبو الحميم هذا ،  
فلقد تحسنت أصابعه حين متحنتين ، حفظتهما البرودة  
الشديدة من التحلل والقضاء . لصحبتين سبقناه إلى هذا المصير  
الأسود . ولقد أثار هذا اخترازه وحققه إلى نحو كبير ، وفجر  
في أعماقه ينابيع الغضب ، مما جعل ذلك الهدف الذي أحبر به  
( هنريك ) يتحول إلى هدف حقيقي .  
لقد قرَّر ألا يبدأ له بال حتى يقضى على ( هنريك  
إدوارد ) . وعلى منظمته كلها . أيا كانت أهدافها .  
ولكن عليه أولا أن يفادر قبو الحميم .  
ولكن كيف ؟

\*\*\*





## ٥ - قَبْرُ الْجَحِيمِ ..

كان الموقف بالغ الصعوبة ، شديد التعقيد ، حتى مع المعلومات التي احتجزها عقل ( أدهم ) ، وسط هذا الظلام الدامس

كان يعلم أنه يقف أسفل الفتحة السفل للأنثروب الأسطوانى ، الذى الزلق على حافته الداخلية المساء ، المائلة بقدر عشرين درجة ، والذى ترتفع على نحو مستقيم طوال ما يقرب من ستة عشر متراً ، لى نعمة تجعل السلق خلالها مستحيلاً .. كانت هذه المعلومات تكفى لإصابة أشجع الرجال باليأس والإحباط ، خاصة مع إضافة الظلام الدامس ، والبرد القارس ..

ولكن هذا لا ينطبق على رجل مثل ( أدهم صبرى ) ..  
رجل يلقب بـ ( رجل المستحيل ) ..

وقل هدوء ، جذب ( أدهم ) جسدى الضحيتين السابقتين ، ووضع إحداهما على ظهرها ، عند موضع قدميه تماماً ، ثم رفع الأخرى ليضعها فوقها ، وهو يقاوم الاحتراز الذى انتابه ،

ويحاول إفصاح نفسه بالقاعدة القديمة ، التى تقول :  
الحى أبقى من الميت ، ..

ثم خلع معطفه ، على الرغم من البرودة الشديدة ، ومزقه إلى نصفين ، لفهما حول عنقه ، وتراجع بخطوات واسعة إلى الخلف ، وهو يحصى خطواته ، حتى بلغت خمس خطوات كاملة ، قبل أن يلامس ظهره جدار القبو الرطب ، البارد كالثلج ..

وهنا التقط نفساً عميقاً ، ملأه صدره ، وانطلق فجأة كالرصاصة ، وقفز لمس قدمه الجنتين من أعلى ، ثم دفع جسده بكل ما يملك من قوة وإصرار إلى أعلى ..

وكانت فقرة رهيبة ، لم يقدر سوى للجنتين الساردين حضورها ..

فقرة يمكن أعيانها مستحيلة ، حتى بالنسبة للأرقام القياسية ، التى يحطمها أبطال الأولمبياد فى فخر واعتزاز .. فقرة جعله يصعد إلى سقف القبو كالصاروخ ، ويتعلق بالفتحة السفل للأنثروب الأسطوانى ، الذى بدا أشبه بتصل تلجى حاذ ..

ومضت ثانية واحدة ، و ( أدهم ) معلق بحافة الفتحة السفل ، ثم انقبضت عضلات ذراعيه الفولاذية ، وعازت جسده على الصعود إلى داخل الأسطوانة ..

وهنا التزع ( أدهم ) نصلى معطفه الممزق عن عنقه ،  
ولف النصف الأول حول قدميه في إحكام ، ثم ربط النصف  
الثاني حول وسطه ، بحيث جعل الجزء الأعظم منه خلف  
ظهره ، وبعددها دفع قدميه في جدار الأسطوانة في قوة ، ودفع  
ظهره في الجدار المقابل ، وبدأ يصعد ..

كانت عملية شاقة للغاية ، فقد كانت جدوان الأسطوانة  
ناعمة زلقة ، وكان عليه أن يتشبث ، ويدفع جسده إلى أعلى  
بقوة تفوق قوة رياضي متفوق .. وبعزيمة لا تقل عن عزيمة رجل  
صبور ، قرر أن ينقل أحجار جبل صخيم من موضعها وحده ..  
وكان الخطأ الواحد هنا يغني أن يهوى جسده مرة أخرى إلى  
قبر الجحيم ..

وهذا يغني الهلاك هذه المرة ..

واستغرق الأمر ساعة كاملة ..

ساعة كادت خلالها عضلاته تتجمد من فرط البرودة ،  
لولا الجهد الشاق الذي يبذله ، والذي جعل تدفق الدماء في  
عروقه يغرقها عن التجمد ..

وأخيرا .. وصل ( أدهم ) إلى الفجوة المغلقة ، التي بدأ  
منها التزلاق ، وحافظ على جسده في موضع الثبات ، بدفع



قوة جعلته يصعد إلى سقف القبر كالصاروخ ،

ووصل بالتحفة الشغل ..

قدمه وظهره في جداري الأسطوانة المتقابلين ، وحاول أن  
يدفع باب الفخوة المغلق بقضيبه . فوجد أنه يحتاج إلى دفعة  
قوية مركزة . فاستجمع ما بقي لديه من قوة ، ودفع الباب  
الصغير ، وقصر إلى حجرة مكتب ( هنريك ) ، وشهر  
مسلمة المصنوع من البلاستيك في حركة سريعة ، ولكنه  
فوجئ بمسلمات رجال ( هنريك ) الأربعة منصوبة إلى  
صدره ، من أربع جهات مختلفة ، ورأى هذا الأخير يجلس  
عادنا خلف مكتبه ، وإلى جواره ( فون دريك ) ، وسمع  
( هنريك ) يقول في هدوء :

— مرحباً يا ماستر ( أدوم ) . أهلتك . إننا نتظرك منذ  
ساعة كاملة .

\*\*\*

كان وضع الرجال الأربعة مُحْكَمًا ، بحيث تصعب  
إصابتهم بالسرعة المطلوبة ، قبل أن يطلق أحدهم رصاصة  
صافية . خاصة وأن جسد ( أدوم ) كان قد بلغ ذروة  
الإجهاد ، بعد ما بذله من مجهود شاق لصعود الأسطوانة  
الزَّلَقَة ، فخفض قُوَّة مسلّمه ، وجاهد لرسم على شفتيه  
أكثر الابتسامات مخربة ، وهو يواجه ( هنريك ) ، قائلاً :

— إذن فقد كنت تعلم أنني في طريقى إلى هنا !  
رفع ( هنريك ) سبّاحته أمام وجهه ، وهو يقول :  
— منذ اللحظة الأولى يا ماستر ( أدوم ) .  
ثم لَوَّح بذراعه ، مستطرداً في زُهو :

— إنها الآليات الحديثة يا عزيزى ، فذلك القَبْر مزوّد بآلة  
تصوير خاصة ، ترسل إلى الصور التي تلتقطها في الظلام ،  
بواسطة الأشعة تحت الحمراء . ولقد نقلت إلى كل ما فعلته  
هناك ، وأصدفك القول إنك رجل مثقّق ، غير عاذى ...  
فتلك الفخوة الرعية ، التي أوصلتك إلى ضحة الأسطوانة ،  
جعلنى أشفق ذهولاً ، وكاد صديقنا ( فون دريك ) يفقد  
وعيه ، وطالبنى وهو يكاد يكي بأن أطلق قاذفات اللهب  
داخل الأسطوانة ، لأشويك حيّاً ، ولكنى فضلت أن أمنحك  
فرصة كاملة ، فلقد كنت متلهّفاً لمعرفة ما إذا كنت ستصح  
حتى النهاية أم لا . فأنا رجل شديد الفصول ، بقدر ما أنا  
شديد الحرص يا ماستر ( أدوم ) .

برقت عينا ( أدوم ) ، على نحو آثار الرّجفة في أوصل  
( فون دريك ) . وهو يقول في هدوء :



— ستردم يوما على أنك لم تستمع إلى نصيحة ذلك الوغد  
الألماني يا ( هنريك إدوارد ) .

أما ( هنريك ) ، فقد أطلق ضحكة ساخرة ، عند سماعه  
عبارة ( أدهم ) ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستد  
مرفقيه إلى مسندى مقعده الكبير ، قائلا في هدوء :

— إن الندم شعور لم يخامرني قط ، طوال حياتي يا ماستر  
( أدهم ) ، فأنا أعد لكل شيء عدته ، وأتخسب لكل  
الظروف . وعلى سبيل المثال ، لقد أسقطت اهلوكوير ،  
التي أتت بك إلى هنا وسط الثلوج ، وأبلغت فسدك في  
( بالين ) بالحادثة المؤسف ، الذي سببه سوء الأحوال  
المناخية ، في هذا الوقت من السنة . وأعلنت عن استعدادي  
لدفع التعويض المناسب لورثتك ، باعتبار أنك ( أندريه  
صالح ) ، كما تؤخذ سجلات الفندق ، وسيكشف هذا  
حقيقتك بالطبع ، حينما يجدون أن ( أندريه صالح ) الحقيقي  
حيٌّ مُرزق . وسيعمل هذا التحقيق يحيل إلى جانب آخر ،  
بعيدا عن شركتي ومنظمتي .. وهكذا ينتهي كل شيء في هدوء .  
أجابه ( أدهم ) في برود :

— وهل تظن أن اخبارات المصرية ستغفر لك ذلك ؟

اسم ( هنريك ) وهو يقول :

— سيأت لو فعلوا أو لم يفعلوا يا ماستر ( أدهم ) . لانس  
أننى ألعب في ملعبى أنا ، وأننى أملك كل أوراق اللعبة .  
سأله ( أدهم ) بنفس البرود :

— وما الذى تنوى أن تفعله معي الآن ؟

هز ( هنريك ) كتفيه في لامبالاة ، ثم قال في هدوء :

— سعيذك إلى القبر يا ماستر ( أدهم ) ، ولكن حنة  
هامدة هذه المرة .

ثم أشار إلى رجاله . مسطوذا في برود :

— أطلقوا النار



## ٦ - بين أنياب الأسد ..

لفظ مدير المخابرات المصرية تلك البرقية ، التي وصلت على  
الثور من ( كندا ) بأصابع ثملوها اللهفة ، وجرت عيناه على  
كلماتها في اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن استغنا في جزع وذعر ، وهو  
يهف

— يا إلهي !! .. مستحيل !!

لفزت ( متى توفيق ) من مقعدها في جزع ، وحقق قلبها في  
قوة ، حتى كاد يقرر من بين ضلوعها ، وهي تهف بصوت  
مرتعد :

— ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

حلق مدير المخابرات في وجهها لحظة ، قبل أن تفرج  
الكلمات من بين شفاه دامعة ، منكسة ، حزينة ، وهو يقول :

— لقد خسر ( أدهم ) عملياته هذه المرة .

انقبض قلب ( متى ) في قوة ، ولجئ إليها أن أنفاسها تعجز  
عن ملء صدرها ، وهي تقول في صوت مختنق :

— هل أصابه مكروه ؟

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاتا في بطنه ، قبل أن يغمغم في  
حزن :

— لقد قُتل ..

اتسعت عينا ( متى ) في ذعر ولوعة ، وتراحت إلى  
الخلف ، وهي ترفع راحتيها إلى وجهها في ألم ، وشجيت حتى  
بدت أشبه بالوق ، وهي تردد :

— مستحيل .. مستحيل !

ثم دفنت وجهها في راحتيها ، وهي تهف في ألم :

— مستحيل أن ينتهي ( أدهم ) على هذا النحو !!

صاح بها مدير المخابرات في صرامة ، لم تحف ثبرة الحزن في  
كلماته :

— كفى آيتها النقيب .. إننا لسنا موظفين إداريين في وزارة  
حكومية .. إننا رجال مخابرات ، نحصل أرواحنا على أكفنا في  
كل خطوة نخطوها ، ومن السادر أن يصل أحدها إلى سن  
التقاعد .

أدهشه أن جفت دموعها على الفور ، وكأنها عنها كلماته  
عموا ، وتسللت إلى صوتها ثبرة قوية ، مملكة بالعزم ، وهي  
تسأله :

— أهذا الأمر مؤكد على نحو لا يقبل الشك يا سيدي ؟

هو مكتوب . وهو يقول في أني :

— تقرينا أيها النقيب . : لقد كان لنا عميل آخر في فندق ( يالين ) ، نطلق عليه اسم ( عميل التغطية ) ، ومهمته تقتصر على إبلاغنا بكل التطورات ، التي تحدث للعميل الأصلي . . .  
ولقد أبلغنا هذا العميل بذهاب ( أدهم ) إلى ( السمر ) ، حيث شركة ( هريك ) ، ثم أبقى إلينا الآن يقول إن الهلوكوتر . التي أفلت ( أدهم ) إلى ( السمر ) . قد تعطلت . . وأن ( ن - ١ ) قد لقي مصرعه في الحادث ، وأن شركة ( إدواردز ) أبلغت إدارة الفندق بذلك ، وباستعدادها لدفع أية تعويضات . . . . .

قاطعت ( مني ) في لحظة شديدة :

— إذن فهو لم يرجع ( أدهم ) نفسه :

عقد مدير المخابرات حاجيه ، وهو يفهم :

— عميل التغطية في ( يالين ) محل ثقة التامة أيها النقيب .

هتفت في انفعال :

— الخبر نفسه ليس محل ثقة يا سيدي .

تهدد مدير المخابرات في غمق ، وهو يتطلع إليها ، وأنبأه

خدسه أن الحب الذي يربط بين قلبي ( أدهم ) و ( مني ) :

يسير المشاكل كالعادة . فقال في ضيق :

— ماذا تستهدفين بالضغط أيها النقيب ؟

لوححت بذراعيها في حماس ، وهي تقول :

— أنت تعرف ( أدهم ) مثلما أعرفه أنا يا سيدي . هل

تظن أنه ذلك الرجل ، الذي يلقي مصرعه في حادث

هليوكوتر عادي ؟

مطأ المدير شفتيه ، وهو يفهم :

— الأعمار بيد الله ( سبحانه وتعالى ) يا سيدي

هتفت في مزيد من الحماس :

— لست أنكر ذلك ، ولكنني أكاد أقسم إن ( أدهم )

ما زال على قيد الحياة ، وإن حادث الهليوكوتر ليس سوى

وسيلة لتعنه من العودة إلى ( يالين ) .

زفر مدير المخابرات ، وهو يسأها :

— وما دليلك على ذلك ؟

كادت تهتف بأن هذا ما أنبأها به قلبها ، إلا أنها أبقت في

اللحظة الأخيرة أن هذا التقرير لن يروق له ، لعقدت حاجيبها ،

وهي تقول في صرامة :



— يمكنكى أن أثبت ذلك .

سألفا المدير في صخر :

— كيف ؟

شدت قامتها ، واستجمعت شجاعتها ، وهي تقول في

خزم عبيد :

— بأن أسافر على أول طائرة إلى ( كندا ) ياسيدى

\*\*\*

كان ( أدهم ) يشعر بإرهاق هائل ، حينما صوّب نحوه

رجال ( هنريك ) الأربعة مستدساتهم ، إلا أن جسد ( أدهم )

كان يمتلك خاصية فريدة متسيرة ، تفوق أقرانه من بنى البشر .

فلم يكند ذلك الجسد يشعر بالخطر ، حتى نفص عن نفسه كل

الإجهاد والإرهاق والتعب دفعة واحدة ، ودفع في خلاياه

بشاشا قويا عبقيا ، وحيوية وطاقه لا حد لها .

وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره

( هنريك ) لرجاله ، بإطلاق النار على ( أدهم ) ، كان هذا

الأخير قد تحرك في سرعته ، ودقة ، ومهارة .

وفاز جذع ( أدهم ) نصف ذؤورة ، وأطلق رصاصة من

مستدسه ، أطاحت بمسدس أحد الرجال الأربعة ، ثم غاص



وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى  
أصدره ( هنريك ) لرجاله ، بإطلاق النار على أدهم .

بحسبه إلى أسفل ، والنزل على الأرضية المصفولة ، وهو يطلق رصاصه الثانية ، التي أحاطت بمسدس الرجل الثاني . في نفس اللحظة التي انطلقت فيها رصاصا الرجلين الآخرين ، فمرت الأولى فوق رأس ( أدهم ) ، واحتكت بأطراف شعره . في حين أصابت الأخرى الأرض ، على بعد خطوة واحدة منه ، وغاصت في أخشابها المصفولة اللامعة ، قبل أن يقفز ( أدهم ) واقفاً على قدميه . ويطلق رصاصة ثالثة . أطاحت بمسدس ثالث ، ثم تبيل جاثياً ، ويطلق الرصاصة الرابعة ، التي أفقدت الرجل الرابع والأخير سلاحه ..

وتنحس ( هنريك ) من مقعده في حركة حادة ، وهو يتف في خليط من الدهشة والسخط :  
— يا للشيطان !!

واتسعت عينا ( فون دريك ) في دُعر ، وهو يتراجع إلى الخلف ، في حين صُوب ( أدهم ) مسدسه إلى الخمين ، وهو يقول في صرامة ، تخرج بسخرته المسترة :  
— معذرة أيها الوغد الزعيم .. يبدو أن ذاكرتي ضعيفة بعض الشيء .. لم كنت تأمر رجالك منذ لحظات ؟

عقد ( هنريك ) حاجبه ، وهو ينحني ، قائلاً في غضب وصرامة :

— دُعيتي أذكرك يا منسر ( أدهم ) ، لقد أسرهم بقتلك ، وما زال هذا الأمر سارياً ، خاصة وأن ذلك النوع من المسدسات ، المصنوعة من البلاستيك ، يحوى عيناً بالغ الخطورة ، وهو أن خزائنه لا تنبع إلا خمس رصاصات فحسب .. ولو أن ذاكرتك الضعيفة أسفطتك ، فستجد أنك قد أطلقت واحدة من هذه الرصاصات الخمس على مسدس ( فون دريك ) ، ثم أطلقت الرصاصات الأربع الأخرى منذ لحظات ، وهذا يعني أن سلاحك الأبق هذا لم يقد سوى قطعة من البلاستيك ، يمكننا أن نحفظ بها في إباء زجاجي ، كذاكرتي لصرعك .

كان من الواضح أن ( هنريك إدوارد ) لا يتميز بالفضول والحرص فحسب ، وإنما بقوة الملاحظة ، وسرعة البديهة ، والأعصاب القوية أيضاً .. ولقد كان من الواضح أن هذا عملوه بالزهر .. فلم يكذبهم حديثه السابق حتى اعتدل في اعتزاز ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مزهولة ، وهو يستطرد :  
— ولتعلم أيضاً أن رجالاً الأربعة ، الذين هم طاقم

حراسي الحاص ، قد تلقوا تدريبات عالية مكثفة ، شديدة  
القوة ، حتى باتت عظام قبضاتهم أشبه بالرصاص ، كما أن  
كلاً منهم حاصل على الحزام الأحمر في رياضة ( الكاراتيه )  
و ( الجودو ) ، وهي كما تعلم مرتبة رفيعة في عالم الرياضات  
القتالية .. هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع  
ياستر ( أدهم ) ؟

كان يلقي سؤاله الساخر الأخير في نفس اللحظة ، التي  
تحرك فيها الرجال الأربعة بأجسادهم الضخمة ، وعضلاتهم  
المفتولة ، والشراسة المرتسمة على وجوههم ، نحو ( أدهم ) ،  
الذي قفز في ذهنه السؤال نفسه :

— هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع  
يا ( أدهم ) ؟

واستطلع عقله رأى عضلاته المنهكة ، وجسده المجهد ، ثم  
جاءت الإجابة مُفرعة مقلقة :

— كلاً .. لن يمكنك ذلك ، في ظل هذه الظروف ..  
وفي نفس اللحظة التي جاء فيها الجواب ، انقضّ الوحوش  
الأربعة على ( رجل المسحبل ) ..

\*\*\*

## ٧ — الهروب من الجحيم ..

« تعلن شركة مصر للطيران عن قيام رحلتها رقم تسعمائة  
وحسنة ، المتجهة إلى ( كندا ) ، فعل السادة الركاب سرعة  
التوجه إلى ..... »

لم تنتظر ( منى ) لتسمع باقي النداء ، بل حملت حقيبتها  
الصغيرة ، وأسرت الخطأ نحو الحافلة الخاصة ، التي تُقلّ  
المسافرين إلى الطائرة ، في حين عادت المضيفة الأرضية تكرر  
النداء بلغات مختلفة .. وقصرت ( منى ) داخل الحافلة ،  
واتخذت أول مقاعدها ، إلى جوار بابها ، وكأنها تستعجل  
الانطلاق إلى الطائرة .. ولم تكد تستقر على مقعدها حتى  
اتسعت عيناها في دهشة ، فقد بدا لها جسم ضخم ، بالغ  
البداية ، يجاهد لدفع كتل الشحم الغليظة به إلى داخل الحافلة ،  
وهو يمنحها ابتسامة وفود ، فهتفت في دهشة :

— ( قدرى )!! .. ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

ألقي ( قدرى ) جسده على المقعد المجاور لها ، فحجب  
جسدها كله ببدانته ، وهو يلتفت إليها قائلاً في مزح :



— إنك تحتاجين إلى رفيق في هذه الرحلة الطويلة .. أليس كذلك ؟

لم تصحك لدعائه هذه المرة ، وإنما عقدت حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— ما الذي جاء بك ؟

لوح بكفه وهو يمس في ضراعة :

— رُوَيْدُكَ يا عزيزتي ( منى ) .. إنها مهمة رشيحة

رفعت حاجبها في دهشة ، وهي تهف :

— مهمة رشيحة ؟!

ابسم وهو يمس مغمضاً :

— لا داعي لأن يعرف كل المسافرين هذا يا عزيزتي .

امضع وجهها بغمة مع عبارته ، التي ذكرتها بعبارات

( أدهم ) التقليدية ، وغمضت في شحوب :

— هل لي أن أفهم ما الذي يغيبه ذلك ؟

ابسم ، وهو يقول في مرح :

— لقد كنت شديدة العناد والإصرار على السفر إلى

( كندا ) ، حياءً أخبرني المدير .. ولقد نجحت في بلدي دور

الثلاث في أعماقه ، خاصةً وأنا تؤمن جيتسا بأن

( أدهم صبرى ) ليس بالرجل الذى يبرمه حادث هليوكوبتر

فقد كان خليقاً به أن يقفز من الهليكوبتر قبل لحظات من

سقوطها .. ولقد رأى المدير أن موقفك يجعل الأمر أشبه بناد

اجتماعي ، منه إلى جهاز مخبرات قوى ، فما كان منه إلا أن

حول سفرك إلى ( كندا ) إلى مهمة رشيحة ، وجعلنى أشاركك

إنها ، بناءً على طلبى ..

تنهدت في ارتياح ، وأسندت ظهرها إلى ظهر مقعدها ،

وهي تقول :

— إن هذا يسعدنى يا ( قدرى ) .

اخضى المرح من ملامحه فجأةً ، وحلّت محلها صرامة

شديدة ، وهو يقول :

— الشيء الوحيد القادر على منحى السعادة الآن

يا ( منى ) ، هو أن نجد ( أدهم ) على قيد الحياة وإلا القسم أن

أبذل آخر قطرة من دمنى ، في سبيل الانتقام من قاتليه .

ثم أردف في حزم لم يمهده فيه من قبل :

— ولن أحدث بقسمى هذا أبداً يا ( منى ) .

\*\*\*

لو أن ( أدهم ) في حالته العادية ، بغير ذلك الشهود المائل ،

الذى بدله لصعود الأسطوانة الزلقة ، ما تردّد لحظة في أن يتأجج الوحوش الأربعة . وأن يذيقهم صلابة قبضته ، وقوة لكماته وركلاته . ولأجبرهم على الركوع أمامه ، وإعلان هزيمتهم في ذلّ ومهانة .

أما في وضعه هذا فقد كان الأمر يختلف ، وكان عليه أن يلجأ إلى الفرار ، على الرغم من كراهيته لمبدأ الغروب أمام أعدائه .

وقفز ( أدهم ) إلى الخلف ، وألقى سدسه في وجه أحد الرجال الأربعة . ولكنم الثاني في معدته بكل ما يملك من قوة . ثم أدار مقبض باب الحجارة ، وفتحها وهو يركل الثاني في وجهه . ثم قفز إلى الخارج وأغلق الباب خلفه في إحكام ، والطلق يقدّم نحو مضعد ( هنريك ) الخاص .

وصاح ( هنريك ) ، وهو يتابع الشاشات التلفزيونية ، التي تنقل إليه ما يفعله ( أدهم ) في الممرّ الخارجى .

— أسرعوا أيها الأغبياء .. إنه يحاول الفرار بواسطة مضعدى الخاص .. اقلّوه قبل أن يفعل .. أسرعوا .

التقط الرجال الأربعة سدساتهم ، وأطلقوا رصاصاتها على رتاج الباب . ثم دفعوه بأكتافهم . واندفعوا إلى الممرّ في نفس اللحظة التي قفز فيها ( أدهم ) داخل المضعد الخاص .

وحفظ أزراره ليرفع به إلى السطح ، فصاح ( هنريك ) في رجاله :

— أوقفوا المضعد .. امنعوه من الوصول إلى السطح .

سمع ( أدهم ) النداء ، من خلال جهاز صوتى صغير داخل المضعد ، فأدار وجهه إلى آلة التصوير المثبتة في المضعد ، والتي نقل إلى ( هنريك ) ما يدور داخله ، وهتف في سخرية :

— إذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

ثم حطّم ( أدهم ) عدسة آلة التصوير بقبضته ، مما جعل دماء الغضب تتصاعد إلى رأس ( هنريك ) ، وهو يصرخ :

— انسفوا المضعد .. اسقطوه .. المهم ألا يصل ذلك الرجل إلى السطح أبداً .

وهنا عظرت لأحد رجاله فكرة شيطانية ، فأطلق رصاص سدسه على أزرار المضعد الخارجية ، فحطّمها ، ثم انزع أسلاكها في عنف ، وأوصل السلكين ، الموجب والسالب ، فأطلقت الأسلاك شرارة قوية ، وغبت الأنوار لحظة ، ثم توقفت المضعد دفعة واحدة ، في منتصف الطريق بين الطابق الثالث والسطح .

ورأى (هريك) ما حدث على شاشات أجهزته الرائدة.  
فألفت عيناه في ظفر . وصاح في شرارة :

— ستحصل على مكافأة سخية نظير براعتك أيها الرجل .  
ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، الذي يوصله برجال أمن  
شركته . وصاح في لهجة أمرة صارمة :

— إندار إلى الجميع .. يوجد جاسوس داخل الشركة .  
ولقد سجناء داخل المصعد .. اتجهوا جميعاً إلى السطح ،  
وأطلقوا عليه قاذفات اللهب .. هل فهمتم ؟ .. أريد أن يشوى  
حيّاً .

\* \* \*

لم يكذب رجال الأمن يتلقون هذا الأمر . حتى غلّت فيهم  
فجأة روح المهارة والبراعة ، فقد تحركوا جميعاً على نحو بالغ  
التظيم والتسقي . كما لو أنهم أفراد جيش نظامي قوى . تم  
إعداده في عناية وإحكام ، فقد انقسموا فجأة إلى عدة  
مجموعات ، قام بعضها بحراسة مداخل المكان ومخارجه  
بعد فهم الرشاش ، وأسرخ البعض الآخر بعزل مبنى الموظفين  
عن مبنى (هريك) الخاص ، في حين انطلقت المجموعة  
الأخيرة . وقوامها عشرة رجال ، إلى السطح ، فألف ثلاثة

منهم حول الخلو كوتر الرابضة على السطح ، يهرسونها في  
إصرار ، في حين أحاط السبعة الباقون بمدخل المصعد ،  
واندفع الثامن منهم ، يحملان قاذفي لهب ، ويفتحان باب  
المصعد في سرعة ومهارة ، ثم اتجهت قُوتهما قاذفي اللهب إلى  
المصعد الخاص ، المعلق في مكانه بين الطابق الثالث  
والسطح ، وانطلقت ألسنة اللهب لتحوّل المصعد إلى قطعة  
من الجحيم ..

وارفعت حرارة المصعد الخاص ، حتى وصلت جدرانه  
إلى درجة الاحمرار ، وأطمأن رجال الأمن إلى أنه من المستحيل  
أن يبقى رجل على قيد الحياة وسط ذلك الأتون الملتهب ،  
فأولفنا قاذفي اللهب ، واعتدل أحدهما ، وهو يقول في لهجة  
عسكرية :

— تم تنفيذ المهمة يا سيدي .. لا أحد يمكنه الفرار من هذا  
الجحيم .

لم يكذب الرجل يوم عبارته ، حتى انطلق صوت ساخر ،  
جئت الدماء في عروق الجميع ، وهو يقول :

— إذن فأنا أدعى لأحد



وقبل أن يزول أثر المفاجأة ، اندفع ( أدهم ) من باب  
المصعد المتفوح .

\*\*\*

حتى يمكننا أن ندرك ما حدث ، لابد لنا من العودة بالزمن  
إلى خمس دقائق مضت .  
إلى تلك اللحظة ، التي أصدر فيها ( هنريك ) أوامره  
لرجال الأمن .

لقد استغل الجهاز الصوتي الصغير ، المثلث داخل المصعد ،  
نفس الأمر إلى ( أدهم ) ، بعد أن توقف به المصعد ، ودون  
أن يصبح ثانية واحدة ، أو حتى جزءا من الثانية ، بدأ ( أدهم )  
تحركه ، فدفع فجوة الأمن في أعلى المصعد ، وقفز ليتعلق  
بها ، ويصعد إلى أعلى المصعد ، ثم تعلق بأسلاكه القوية .  
وأخذ يتسلقها في سرعة ومهارة ، حتى تجاوز مدخل المصعد  
على سطح الشراكة ، وتعلق بالأسلاك في ذلك الفراغ الصغير ،  
الذي يرتفع فوق المدخل ، والمعد لاستيعاب تلك الأجهزة ،  
التي توضع فوق المصعد ، لتأمين حركته .

وكم أدهشه أن تحت عضلاته المشبكة في ذلك ، إلا أنه ألقى  
تلك الدهشة خلف ظهره ، وظل متشبكا بالأسلاك ، وهو  
يصم ، يركب إلى صدره في مرونة ، حتى يخفى جسده غامقا في

ذلك الفراغ الضيق ، حتى رأى رجل الأمن وهما يفتتحان باب  
المصعد ، ويطلقان قاذبي اللهب نحو المصعد ..

وسرت في جسده قشعريرة ، وهو يتصور المصير الذي كان  
يتظره ، لو أنه بقي داخل المصعد ، الذي تحول إلى كتلة من الجحيم .  
وعلى الرغم من أنه كان يعطو كتلة اللهب هذه بما يقرب من  
عشرة أمتار ، إلا أنه شعر بحرارة شديدة من ألصق قاذبي  
اللهب ، حتى أنه تصبب عرقا في غزارة ، برغم برودة الطقس  
في الخارج ، حتى أوقف رجلا الأمن إطلاق النيران ، وسمع  
أحدهما يعلن انتهاء المهمة ونجاحها ..

وهناك أدرك أن لحظة الهجوم قد حلت ..

وقد كان ..

وفي براعة ومرونة وخبرة ، تعلق ( أدهم ) بحاجز باب  
المصعد ، وقفز إلى السطح ، وسطر رجال الأمن العشرة ،  
وهو يبطئ عبارته السالفة الذكر ، وتحركت قبضته في سرعة  
وقوة ، لتهدئ على فك أحد الرجلين ، اللذين يسكان قاذبي  
اللهب ، ثم انعط قاذفة اللهب في مهارة ، وهو يركل الرجل  
الأخرين ساقه .. وقبل أن ترتفع قوّهات المدافع الرشاشة في  
وجهه ، كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..

وتحول سطح الشراكة إلى جحيم حقيقي ..

\*\*\*

## ٨ - في سماء المعركة ..

نقلت آلات التصوير التي تملأ السطح ، ذلك المشهد إلى ( هنريك ) و ( فون ديرك ) ، فشب وجه الأخير في ذهول ، واحتقن وجه الأول ، وهو يجثو في شاة الرصد ، هائفاً - مستحيل !!

وسرعان ما امتلأت عيناه بذهول جارف ، عندما رأى النيران تشتعل في ثياب خمسة من رجال الأمن العشرة ، فيلقون أسلحتهم ، ويركضون في كل مكان ، وهم يصيحون ويتأفزون في ذعر وألم هائلين ، ورأى الرجلين ، اللذين كانا يحملان قاذبي اللهب ، لاقدي الوعي تحت قدمي ( أدهم ) ، والرجال الثلاثة الباقين ، الذين كانوا يحيطون بالهليكوبتر ، وهم يتحللون عنها ، ويستديرون ليطلقوا رصاصات مدافعهم الرشاشة نحو ( أدهم ) - الذي تفادى الطلقات المنهجرة عليه كأنظر بقفزة مذهلة ، ودار بجسده دورة رأسية في الهواء ، ثم هبط على قدميه ، وألقى قاذفة اللهب في وجه الرجال الثلاثة ، ثم انحى في سرعة مذهشة ، والنقط مدافعاً رشاشاً ، من تلك المدافع التي تحلّى عنها



كان يطلق قاذفة اللهب في وجه الجميع ..  
وتعمل سطح الشركة إلى حجم حقيقى ..

الرجال الخمسة ، بعد أن اشتعلت النيران في ثيابهم ، ول  
مهاراة منقطعة النظر ، أطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو  
الرجال الثلاثة ..

وامتقع وجه ( هنريك ) ، وسقط ( لون دريك ) على  
أقرب مقعد ، حينما أصابت رصاصات ( أداهم ) مدافع  
الرجال الثلاثة ، وأطاحت بها ، دون أن تفس أصحابها يحدش  
واحد ، وسمع الاثنان صوت ( أداهم ) ، غتر الأجهزة الناقلة  
للصوت ، وهو يقول في صوت صارم ، موجهاً حديثه إلى  
الرجال الثلاثة ، ومشيرًا إلى هليوكوبتر :

— ابتعدوا عن هذا الشيء —

أطاع الرجال الثلاثة الأمر في سرعة ، وأدرك ( هنريك )  
مقصده على الفور ، فقفز من مقعده ، وهو يتف في غضب :  
— كلاً .. ليس الهليوكوبتر .. ليس الهليوكوبتر ..

ولكنه لم يكذب عمارته ، حتى كان ( أداهم ) قد قفز إلى  
الهليوكوبتر ، وأدار محركاتها ، فدارت مروحتها في قوة ،  
وارتفعت عن السطح ، وسقطت تلك ( هنريك ) السفل في  
مزيج من السخط والدحول ، وهو يراقب الإقلاع الراجع ،  
الذي قام به ( أداهم ) ، في حين هتف ( لون دريك ) في دُعر :

— يا للشيطان !! لقد نجح في الاستيلاء على الهليوكوبتر ،  
التي تحمل مدفعين رشاشين ..

عقد ( هنريك ) حاجبيه في غضب وصرامة ، وضغط زر  
جهاز الاتصال ، وهو يقول في حنق :

— لدينا أخريات بصواريخ مضادة للطائرات ..

ثم هتف غتر جهاز الاتصال :

— إلى القوات الجوية اغارية .. لقد استولى الجاسوس  
على الهليوكوبتر ( زد ٣ ) .. أطلقوا خلفه خمس طائرات  
هليوكوبتر من طراز ( إكس ١٨ ) .. أريد ألا يبقى منه  
ما يكفي ملء علية ثقب صغيرة .. أطلقوا صواريخكم في  
سخاء .. المهم ألا يفادر ذلك الشيطان حدود ( إسمير )  
أبدا .. أبدا ..

\*\*\*

لم تكن مغادرة ( إسمير ) ضمن لحظة ( أداهم ) في  
الواقع ، فهو لم يعد إلى الاستيلاء على الهليوكوبتر ، والإقلاع  
بها ، للفرار من ساحة المعركة ، وإنما كان ذلك كسوع من  
المقاومة المدروسة ، تستهدف إقاع الجميع بقراره ، حتى  
يمكنه العودة ، وقلب الأمور على رأس ( هنريك ) وزجالة ..



ولقد أدهشه أن هليوكوبتر كانت مزودة بمدفعين رشاشين .  
لما لا يتفق مع هليوكوبتر تابعة لشركة مصائد قطبية . حتى  
ولو كان صاحبها يعمل في مجال الجاسوسية الخاصة . لذا فقد  
أدلهه ثانية أن تطلق لطارده خمس طائرات هليوكوبتر .  
مزودة بالصواريخ . من ذلك الطراز الذى لا يتواجد عادة  
إلا في الجيوش القوية .

ولكن دهوله تلامي في سرعة . وتوارى خلف صراته  
وإصراره . حبا أدرك أن الموقف قد تحول - لسبب ما - إلى  
معركة حقيقية . أو إلى حرب في سماء المعركة .

ولقد وجدها ( أدهم ) فرصة إثبات مهارته . وتلقين  
هؤلاء الأوغاد درسا . وبدلاً من أن يتطلق هارباً . استدار  
بأهليوكوبتر لمواجهة مطارديه . على الرغم من ثقته بأن كل  
هليوكوبتر بطارده . تملك استعداداً حريماً يجعل مواجهته لها  
أشبه بمواجهة فأر صغير تثير مفترس .

ولقد أدهشت تبادرته قائدى الطائرات الخمس . إلا أنهم  
- وباتقان عجيب - أطلقوا نحوه صواريخهم في آن واحد .  
وانتهجت الصواريخ الخمسة نحو هليوكوبتر ( أدهم ) . وكل  
منها يحمل هدفاً واحداً .  
القتل .

\*\*\*

لو أننا سألنا قائد القوات الجوية المصرية . احتمالات  
النجاة . حينما تواجه هليوكوبتر من نوع ( زد ٣ ) . خمس من  
طراز ( إكس ١٨ ) . لطشفيه في أسفل . وأحاط في ثقبه .  
- احتمال النجاة في مثل هذه الحالة يقل عن النصف في المائة .  
ولو أننا أحسنا أن قائد الـ ( زد ٣ ) هو المقدم ( أدهم  
صبرى ) . فسألني نظرة مُقعمة بالإعجاب في عيني قائلاً  
القوات المصرية . وهو يتسم بسماة واسعة . ويقول بمزيد  
من الثقة

- في هذه الحالة أيضاً لن تزيد احتمالات النجاة عن  
النصف في المائة . وسيكون من المؤسف أن يفقد خمسة من  
قائدى الهليوكوبتر ( إكس ١٨ ) وظائفهم .

فلقد أشرف قائد القوات الجوية بنفسه على تدريب  
( أدهم ) . وهو يعلم مدى كفاءته في هذا الشغل

ولقد أثبت ( أدهم ) هذه الكفاءة بالفعل . حينما انصرف  
بأهليوكوبتر فجأة . وصعد بها إلى أعلى في وضع عمودي .  
متجاوزاً الصواريخ الخمسة . التي انفجرت بدوى هائل وسط  
التلويج . ثم انفق على طائرات الهليوكوبتر المطاردة . وهو  
يطرها برصاصات المدفعين الرشاشين . المثبتين في طائرته .

وحطت رصاصات مروحة الهليكوبتر الأولى ، وراها  
جهوى إلى أسفل ، وهى تدور حول نفسها على نحو بالغ  
خطورة ، فى حين مرقى هو بين الطائرات الأربع الأخرى ،  
وصنع باحراقه صغوفها موجة من التخلخل ، أخذت بتوازن  
طائرة أخرى ، فدارت حول نفسها بدورها ، وكادت بهوى  
الضحى يزيلتها ، لولا مهارة قائدها ..

واستدارت الطائرات الأربع لتواجه خصمها ، وقد أدرك  
قائدها أنهم يواجهون مقاتلاً لا يستهان به ، ولكيهم رأوا  
هليكوبتر ( أدهم ) ترتفع فى سرعة نحو السحب الباردة ،  
التي تحجب السماء ، فعقد أحدهم حاجبه ، وهو يضعفم فى  
دهشة :

— ماذا يفعل ذلك الأحق ؟.. أظن أنه يقود ( فانوم )

جديدة ؟

ثم اندفعت الطائرات الأربع خلف ( أدهم ) ، الذى  
احرق بالهليكوبتر السحب الباردة ، واخطى بينها ، حتى  
أثار خيرة قائده الطائرات الأربع ، التي أخذت تدور حول  
السحب فى قلق وحذر ، وقال أحدهم لرفاقه ، غير أجهزة  
اللاسلكى :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟.. هل ذاب وسط  
السحب ؟

كان يتوقع أن يشاركه رفاقه خبرته ونسأله ، إلا أنه فوجئ  
بأحدهم يصرخ غير جهاز اللاسلكى :  
— احترس .. إنه خلفك ..

وقبل أن يلتفت ، أو يستدير بطائرته ، انهالت عليه  
رصاصات هليكوبتر ( أدهم ) كالطرر ، وأعطت مروحة ،  
ولقت خزان وقوده ، فهوت طائرته قبل أن يفيق من ذهوله ،  
وهى ترمل حلقها خيطاً من الدخان الأسود الكثيف ..

وأطلقت الطائرات الثلاث الباقية صواريخها نحو  
( أدهم ) ، الذى انحرف بالهليكوبتر فى سرعة وبراعة ،  
وارتفع بها ليخطى وسط السحب مرة أخرى ، فهتف أحد  
قادة الهليكوبترات الأخرى فى توتر :

— أى شيطان هذا ؟.. إننى أشعر وكأننا نقاتل شبحاً !!  
صاح آخر :

— فلنطلق الرصاصات وسط السحب ، لقد أمرنا الزعيم  
ألا ندعبر الذخيرة .

أطلق الثلاثة رصاصاتهم فى غزارة وسط السحب ، وقد

تغلبهم القلق ، وملأ التوكر نفوسهم ، وكل منهم يتصور نفسه  
الضحية التالية ..

وفجأة .. برزت هليوكوبتر ( أدهم ) من وسط  
الشج ، كسمكة قرش مفترسة ، اخترقت البحر لتشب  
أنيابها في جسد ضحية جديدة ، وانطلقت رصاصاته تعمير  
الطائرات الثلاث ، التي أخذتها المفاجأة ، فتلقت إحداها  
سيلاً من الرصاصات ، حطمت زجاجها الأمامي ، واستقر  
بعضه في جسد قائدها ، فهزت من حلق ، وأطلق قائد الثانية  
رصاصاته في خشر ، فأصاب زجاج هليوكوبتر ( أدهم ) ،  
وحطمت ، وأصابته إحدى رصاصاته كتف بطلان ، ونفذت  
منه مخلقة ثقبا دائما ، وألتما مبرحة .. وشعر ( أدهم ) بالهواء  
البارد يرتطم بجسده ، وبأطرافه تتجمد ، وبأنفاسه تتحرق على  
الارتفاع الشديد ، وسط طقس تبلغ برودته الأربعين تحت  
الصفر ، فهبط بالهليوكوبتر في سرعة ، قبل أن يلقى حظه ،  
ولحقت به الطائرتان الباقيتان في إصرار ، وعما تحطرانه  
برصاصاتهما ، التي أصابت خزان الوقود . فزاد ( أدهم )  
من سرعة هبوطه ، محاولا الوصول إلى ارتفاع معقول ، قبل أن  
تتاله الرصاصات ، وهتف أحد قائدي الطائرتين في شراسة :

— لن نفر بعد ما فعلته .. لن نفر أبدا ..

ثم أطلق آخر صواريخ طائرته نحو هليوكوبتر ( أدهم ) ،  
التي باتت على ارتفاع شامية أمتار فقط من سطح الأرض  
وأصاب الصاروخ هدفه هذه المرة ..  
وكان انفجارا مروعا ..

\*\*\*





## ٩ - ضائع وسط الشلوج ..

انقضت (منى) فجأة في أثناء نومها داخل الطائرة ، التي  
تقلها مع ( قدرى ) إلى ( كندا ) ، واتسعت عيناها في دُغْر ،  
وهي تصرخ :

— ( أدهم ) !!

التفت إليها ( قدرى ) في دهشة ، واستدارت إليها عيون  
الركّاب في خيرة وخزع واستكار ، وهرعت إليها مضيئة  
الطائرة ، تسألها في حَزَع :

— ماذا هناك يا سيدتى ؟

حدقت (منى) في وجه المضيئة لحظة ، ثم لَوّحت بكفها ،  
وهي تتهدّ ، قائلة :

— لا شيء .. إنه مجرد كابوس فحسب .

منحها المضيئة ابتسامة حنوناً ، وهي تسألها في إشفاق :

— هل أحضر لك بعض الماء ، أو قرصاً مهدئاً .

ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهي تقول :

— كلاً .. شكراً لك .. إننى في خير حال .



التفت إليها (قدرى) في دهشة ، واستدارت إليها عيون الركّاب ..

منحتها المنيخة ابتسامة أخرى ، ثم انصرفت لشئونها ،  
فالتفت ( قدرى ) إلى ( متى ) ، وسألتها في تولد :  
— ماذا حدث ؟

زهرت في قوة ، قبل أن تحببه :  
— إنه كابوس حقا يا ( قدرى ) .. كابوس بشع .  
سألتها في اهتمام :

— وماذا عن هتافك باسم ( آدم ) ؟  
زهرت مرة أخرى ، وهي تقول في صوت مضطرب :  
— لقد كان الكابوس حول ( آدم ) يا ( قدرى ) .. لقد  
رأيت داخل هليوكوبتر تفجير ، ويلقى حطه داخلها .  
هتف في صوت خافت :

— رحماك يا إلهي ! .. ما أبشعه من كابوس !!  
أخذت تلهث كما لو أنها قد بدلت مجهودا عثيفا ، ووضعت  
يدها على صدرها ، وكأنها تحاول تهدئة قلبها ، الذي يخفق في  
خلف ، وهي تقول :

— ليت يقتصر على كونه كابوسا يا ( قدرى ) ..  
مطأ شغيبه ، وهو يغمغم في قلق :  
— وماذا يمكنه أن يكون غير ذلك ؟

أغلقت عينها ، طمع دموعها من الانسكاب على جديتها .  
وهي تقول في حزن الفطر له قلب ( قدرى ) .  
— تبرة يا ( قدرى ) ..

\*\*\*

انفجرت هليوكوبتر ( آدم ) انفجارا هائلا ، وتناثرت  
شظاياها وسط سحابة هائلة من اللوح ، استغرقت فترة  
طويلة ، قبل أن تتساقط لتضم إلى اللوح ، التي تغمر المكان ،  
وتدثر بقايا الهليوكوبتر المغطمة برداء أبيض بارد ، ويُسود  
السكون ، إلا من صوت مروحي الطائرتين الباهيتين ، وهما  
تدورمان حول الحطام ، قبل أن يتف قائد الهليوكوبتر ، التي  
أطلقت الصاروخ القاتل ، في سعادة وظفر وحاس :

— لقد حطمته .. لقد نسفته نسفا .

هتف زميله غير جهاز اللاسلكي .

— لقد كنت رائعا يا رفيقي .. أحشك .

ثم ضغط بزر اللاسلكي ، الذي يوصله بكتب ( هنريك )  
مباشرة ، وهو يقول في لهجة رسمية :  
— انتهت المهمة في نجاح .. تحت تصفية العدو ..

جاء صوت ( هنريك ) غير سعاة الجهاز ، مُقعقا  
بالانفعال والظفر ، وهو يقول :

— شد إلى هنا على الفور ، وقدم تفريوك .. إننى أنظر .  
غمغم الرجل :

— إننا فى طريق العودة .

ثم أغلق جهازه ، وقامت الطائرتان بدورة أخيرة حول  
الخطام ، ثم انطلقتا نحو الشركة ، وتلاشى صوت مروحيهما  
رويدا رويدا ، حتى لم يُعد هناك سوى الثلوج الممتدة ، وحطام  
هليكوبتر من طراز ( زد ٣ ) ، كانت تحمل منذ قليل ضابط  
المخابرات المصرى ، المعروف باسم ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

ضرب ( هنريك ) سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو عتف  
فى غضب :

— ثلاث طائرات ؟! .. تفقدون ثلاث طائرات من طراز  
( إكس ١٨ ) ، فى مواجهة مع هليكوبتر واحدة من طراز  
( زد ٣ ) ؟! .. أى رجال أنتم ؟! .. ماذا ستفعلون إذن ، حينما  
تجيب اللحظة الكبرى ؟!

تبادل قائدا الطائرتين التاجيتين نظرات الاستياء ، ثم  
غمغم أحدهما فى ضيق :

— لقد كان الرجل يقاتل فى مهارة منقطعة النظم  
ياسيدى ، ولا ريب أنه .....

قاطعهم ( هنريك ) بصرخة غاضبة :

— إنه ماذا ؟! .. مهما كان هذا الرجل ، فهو رجل واحد ،  
وكان ينبغي أن تسقطوه من الضربة الأولى .

غمغم الطيار الآخر فى ضيق :

— لقد حاولنا ياسيدى .. ولكن .....

قاطعهم ( هنريك ) هذه المرة أيضا ، صائحا فى غضب :

— ولكن ماذا ؟! .. إننى أكره الأعداء الواحية .. الحقيقة  
الوحيدة فى هذا الأمر ، هى أنكم ما زلتُم تحتاجون إلى مزيد من  
التدريب ، قبل ساعة الصفر ، فعندما تجيب اللحظة الكبرى ،  
لن تجدى الأعداء .

تبادل قائدا هليكوبتر نظرة الاستياء مرة أخرى ، وعادا  
بقفان متصيين ، قبل أن يُلَوِّح ( هنريك ) بكفه فى سخط ،  
قائلا فى صرامة :

— انصرفا ..

انصرف الاثنان فى خفق واضح ، لقد جاءا بتوفعان مكافأة  
سخية ، فإذا بهما يتعزضان لتفريع عفيف ، ولم يكدا آخرهما



يفتح الباب خلفه حتى صم ( فون دريك ) راحته أمام وجهه ، وهو يقول ..

— رُوَيْدِكَ يا ماستر ( هنريك ) . كلانا يعلم أن هذا الرجل كان شيطانا مريدا ، ومن حسن الحظ أن نجح الرجال في التخلص منه .

لُوح ( هنريك ) بذراعه ، وهو يقول في سخط :

— بخسار فادحة يا ( فون دريك ) . إن قوتنا لم تبلغ بعد الحد الكافي لتحمل مثل هذه الحسارة ، خاصة وأن نجاح الظائرات المصرية في كشف موقفتنا ، يخنى ضرورة التعجيل بساعة الصفر .

نهض ( فون دريك ) وهو يتسم ، ويقول في هدوء وثقة :

— اطمئن يا ماستر ( هنريك ) ، لقد تخلفنا من أخطر ضابط مخبرات في العالم ، وسيبر كل شيء على ما يرام . اطمئن .

\*\*\*

لم يكد صوت مروحي طائر في هليوكوبتر يتلاشى ، بعد دروسهما الأخيرة حول حطام هليوكوبتر ( أدهم ) ، حتى بدت بقعة من الجليد ، الذي يفسر المكان ، وكأنها تبصر

في بطة ، ثم لم تلبث أن تحركت ، وبرز منها رجل تجمّدت أطرافه من شدة البرودة ..

رجل يُدعى ( أدهم صبرى ) ..

كانت بشرته قد اكست بلون أقميل إلى الزرقاء ، بعد أن بقي تحت غلاف من الثلوج لأكثر من ربع ساعة كاملة ، وكانت أطرافه ترتجف في قوة ، وأنفاسه تتردّد في صدره في صعوبة . ولكنه كان على قيد الحياة ..

وهذا هو المهم ..

وأخذ ( أدهم ) يذلّك أطرافه في قوة ، محاولا التغلب على البرودة القارصة ، التي تسرى في جسده ، وتحسّس الدماء التي تجمّدت حول ثقبى الرضاصة أمام وخلف كتفه ، وقاوم الآلام التي تُعزّز في جسده ، من قسوة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يتجه في خطوات سريعة نحو حطام هليوكوبتر ..

كان قد نجا من الموت المحقق هذه المرة ، بتوفيق الله ( سبحانه وتعالى ) وحده .. فقد نجح في القفز من هليوكوبتر قبل لحظة واحدة من انفجارها ، وحجته سحب الثلج ، التي تالتت إلى الانفجار ، عن عيون قالدي الطائر بين المطاردتين .

حتى غمرته الثلوج الناعمة ، وهو يستلقي على وجهه فوق  
الثلوج الصلبة ، واحمل هو البرد القارس ، واحمل جسده  
تلك الآلام التي يشعر بها ، حتى ابتعدت الطائرتان ..  
ولقد بدا له هذا أشبه بالمعجزة ..

بل هو معجزة حقيقية ..

معجزة أراد له بها الله ( سبحانه وتعالى ) أنه ينجو ، وأن  
يواصل قتاله ضد هؤلاء الأوغاد ..

وعاد عقله يشعر بالذهشة لوجود هذه الطائرات  
الهابيكوبتر الحديثة ، في حوزة ( هنريك إدوارد ) ، وأنيأه  
هذا أن ( هنريك ) لا يسعى مجرد إنشاء منظمة جاسوسية  
خاصة ، بل يسعى لهدف أكثر قوة وخطورة ..

هدف يحتاج إلى جيش حرفي كامل ..

وعليه هو أن يوقف ذلك ، وأن يذل حياته لتحيته ، إذا  
ما قدر له أن ينجو ، والأبقى حتى مصرعه هائلا وسط جحيم  
من الثلوج ..

\*\*\*

## ١٠ - الطريق إلى الهدف ..

تفقد ( أدهم ) عظام الهليوكوبتر في عناية ، وقد قرر  
الإفادة من كل قطعة مجدها وسطه ، ولقد شعر بأرتياح كبير  
لأن كايته القيادة لم تصحط تماما ، فأصرح يتبع القراء الذي  
يكسو مقاعدها ، ومزق أطرافه في عناية ، ليصنع لحيوة تكفي  
تحمير رأسه وذراعيه ، بحيث يحوله إلى ستر من القراء فيه بعض  
البرد الشديد ، الذي يكاد يعصف بأطرافه ، واستغل جزءا منه  
في صنع غلاف واق ، أحاط به رأسه وأذنيه ، ثم اتسع بقايا  
المقاعد ، وكومها على بعد مترين من العظام ، ثم القط قداحة  
الهابيكوبتر ، وأشعل النار في البقايا ، وجلس إلى جوارها  
بستمتع بدفء النيران ، حتى استعاد جسده حيوته وبشاطه ،  
وضمد جرح كتفه بقطعة من بطانة المقاعد ، ثم اتجه إلى بقايا  
الكايته ، وأخذ يفششها في اهتمام بالغ ، وتألفت عيناه حينما عثر  
داخلها على مدس من طراز ألماني ، تحوى خزائنه تسع  
وصاصات ، فمدسه في جيب صدره ، وابتمس في سخرية ، وهو  
يفهم ..

— أعدك بأن أحفظ لك برصاصة من هذه الرصاصات  
الصح يا ( هنريك إدوارد ) .

ثم اتجه إلى المروحة العظيمة ، واتزق قطعتين مسطحتين  
منها ، وقاملهما لحظة . ثم اتجه إلى المليونكوتتر ، وبذل جهدا  
ليترع قاعى الكابينة السفلى ، وأسلاك البطارية ، ثم حل  
هذه الأشياء ، وعاد إلى قطعتي المروحة ، وأخذ يثبت القطعتين  
أسفل حذائه بواسطة الأسلاك ، حتى أحكم تثبيتهما ، والنقط  
القائمين ، ونهض واقفا ، ثم انصم وعظم .  
— اعتقد أن هذا يفي بالغرض .

كان قد أفاد بقطع حطام المليونكوتتر ، ليصنع لنفسه  
ما يشبه زلاجتي الحديد ، ولم يعد أمامه سوى أن يثبت مهارته  
في التزلج على الحديد .

ودفع ( أداهم ) القائمين في الثلوج الصلبة ، ثم انطلق  
بزلاجه الصناعيتين نحو الهدف .

نحو شركة ( هنريك ) .

أو نحو نهايته .

\*\*\*

ساعة كاملة اندفع خلالها ( أداهم ) منزلقا فوق الثلوج ،

وسط برودة قارصة تحملها في بسالة نادرة ، حتى لاح له مبنى  
الشركة ، مع مقب الشمس ، وحلول الظلام ، وهبوط درجة  
البرودة إلى الخمسين تحت الصفر .

وتوقف ( أداهم ) خلف ثمة للجنة قريبة ، وغلص من  
زلاجه الصخريتين ، وتجمدت أنفاسه وهو يراقب المبنى في  
اهتمام وإمعان ، حتى تبين مدخلا واحدا ، دون أن يرى حارسا  
واحدا حول المكان .

وكان يعلم أن المنطقة كلها مراقبة بآلات التصوير  
التليفزيونية ، التي تنقل إلى ( هنريك ) كل ما يحدث وما يدور  
حول المكان ، وكان يعلم أن الوصول إلى مبنى الشركة يُعد  
مستحيلا ، حتى مع حلول الظلام .

ولكن عليه أن يصل إلى هناك ، مهما كان الثمن .

وعقد حاجبيه وهو يفكر في عمق ، والبرودة من حوله  
تزداد وتزداد ، وأطرافه تتجمد في وضع السكون الذي  
يتخلده ، والبرد يكاد ينخر عظامه ، وتجمد الدماء في عروقه .  
وفجأة .. نهلت أسايريه ، وارتسم في علامحه الفعّال  
غامض ، وهو ينسم مغمغما :



— من حسن الخط أنك ترأى كل ما يحدث ما (هنريك) ،  
وانك رجل شديد الحرص والحذر .  
ثم أخرج مسلحه من جيبه ، ورفع فؤعه إلى أعلى ، وأطلق  
رصاصة ، كان لها دوى القنبلة وسط الظلام والسكران ..

\*\*\*

كان (هنريك) يناقش بعض الأمور الهامة مع  
(لوتو دريك) ، حينما نقلت إليه أجهزة دوى الرصاصين ،  
لفقر من مقعده في دعر ، والتفت إلى شاشات الرصد التي علما  
مكبته في قلق ، وفتفت غير أجهزة الاتصال :-

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه رئيس حراس المبنى في قلق مماثل :

— لست أدري أيها الزعيم . لقد انطلقت رصاصتان في  
المخرج ، ودرجة البرودة لا تسمح بوجود مخلوق واحد خارج  
المبنى ، وكل رجالنا هنا ، والمصنع ومساكن العمال تبعد أكثر  
من كيلومترين و .....

فاطمه (هنريك) في صراقة :

— أرسل خمسة رجال لتحرى الأمر ، وأريد تقريرهم فور  
عودتهم ..



وتوقف (أدهم) خلف قبة تلحجة قريبة ،  
وعلم من زلأخته التلحجيين ..

احداه رئيس الخراس

— كما تأمر أيا الزعيم

استدار ( هنريك ) يراقب شاشات الرصد في قلق ، فسأله

( فون دريك ) :

— ماذا تتوقع أيا الزعيم ؟

عز ( هنريك ) رأسه في حيرة ، وهو يغصم في قلق :

— لست أدرى .. إن أحدا لم يصل إلى الجزيرة ، سوى

ذلك الشيطان المصري ، وأحسنى أن يكون .....

قاطعه ( فون دريك ) ، وهو ينف في استكار :

— بما ١٢ .. مستحيل يا مستر ( هنريك ) ، لا أحد يتجو

من صاروخ متفجر ..

لم تخلف كلماته من قلق ( هنريك ) ، الذي غصم في

خفوت :

— سأرسل رجلين في الصباح الباكر للبحث عن جثة ..

لن نبدأ لي بال حتى أرى بقاءه بعينى .

انهم ( فون دريك ) ، وهو يقول :

— إلك تبالغ في الخرص والحدس هذه المرة أيا الزعيم .

مظ ( هنريك ) شففيه ، وهو يراقب شاشاته في قلق

واهتمام ، ويغصم في تولثر :

— ربما يا ( فون دريك ) .. ربما ..

ولكن عقله لم يبدأ أبدا ..

\*\*\*

تبرم رجال الحراسة الحسنة ، وهم يغادرون مبنى الشركة

المكثف ، إلى الطقس الشديد البرودة في الخارج ، وقبض كل

منهم على مدفعه الرشاش في قوة ، وأنفاسهم تتحشد أمام

وجوههم ، وهم يتجهون إلى التبة التي ذوى عندها صوت

الرصاصة ، وغصم أحدهم في سخط :

— أراهنكم أنها مجرد فرقة جليد .. لقد سمعت صوتا

مشابها في الشتاء الماضي

غصم آخر في ضجر :

— أنت تعرف الزعيم .. إنه شديد الخرص والحدس ، وهو

يزى أن ذلك أحد مزاياء

غصم ثالث في سخرية مريوة :

— مزاياء ١٢

ثم لم يزد أحدهم حرفا ، وهم ينقسمون إلى أفراد .

ليدوروا حول التبة ، والقباب المماورة ، وبدا الجميع وكأنهم

يؤذون عملا روتينيا بلا طائل ، والضجر يرنس على وجوههم

واصطخا ، وكل منهم يتمنى انتهاء الأمر في سرعة ، ليعود إلى  
المبنى المكثف الهواء ، حيث ينعم بالدفء والراحة ..  
وبينا كان أحدهم يدور حول ثمة قرية ، سمع صوتا هادئا  
يقول :

— مرحباً أيها الوعد .. إن ملاحك يبدو في مألوفة .. هل  
الطينا من قبل ؟

استدار الرجل في سرعة ، وصوب مدفعه الرشاش إلى  
مصدر الصوت ، ولكن ملاحه تعثرت فجأة ، دون أن يكون  
للتفعله أدنى أثر على ذلك ، فالشيء الذي غيّر ملاحه كان  
لكمة قوية ..

لكمة من قبضة ( أدهم صبرى ) ..

\*\*\*

انتهى الحزام الخمسة من بحثهم بعد نصف ساعة ، بدت  
لهم كدهر كامل ، وسط هذا الطقس ، ثم اتجه قائدهم إلى بقعة  
خالية ، وهو يقول :

— الجميع إلى هنا .

اتجه الجميع إلى حيث يقف قائدهم ، وبدأ للقائد أن  
أحدهم أكثر طولاً من ذى قبل ، وأنه يرحى قبعته بأكثر من

اللازم ، إلا أن رغبته في العودة جعلته يتجاهل ذلك ، ويقول في  
لمحة آمرة :

— هل من نتائج ؟

أجاب الجميع في سرعة ، صنعتها لمفتهم إلى العودة :

— النتائج سلبية يا سيدي .

أرماً الرجل برأسه موافقا ، ثم استدار ، واتجه إلى مبنى  
الشركة ، وهو يقول :

— حسناً .. هيا بنا نعود .

وتحرك الجميع في خطوات سريعة نحو المبنى ، الذي لم يفتح  
أبوابه لاستقبالهم ، وصرى الدفء في أجسادهم ، حيناً أغلق  
الباب خلفهم ، واتجه قائدهم ليدلى بقريره ( هريك ) ، في  
حين اتجه الآخرون إلى أماكنهم ..

ولى هدوء انفصل أحدهم ، وغاب في مدخل جانبي ،  
دون أن يلتفت إليه الآخرون .

لقد كان ( أدهم صبرى ) ..

ولقد كان هذا المدخل الجانبي هو أول الطريق إلى  
الهدف .

الهدف القاتل .

\*\*\*



## ١١ - وكر الشياطين ..

تحرك ( أدهم ) داخل المكان في خطوات هادئة ، حتى لا يثير الشك ، أو يلتقط ( هنريك ) تحركاته المريبة غير آلات التصوير المنتشرة في كل مكان ، ولقد بلغت دهشته أوجها ، وهو يشاهد الآلات الحربية المنتشرة في كل مكان ..

كانت هناك أكوام من قبائل الدبابات ، وقذائف الطائرات ، والصواريخ المضادة للطائرات ، والمدافع ، وأعداد هائلة من المدافع الرشاشة ، والمسدسات ، وتلال من الرصاصات من كل الأنواع والأحجام ..

كان المكان في واقع الأمر مصفا ضخما للذخيرة الحية ، يكفي لتفدية جيش دولة عظمى .. وكان هذا يتفق مع مخاوف ( أدهم ) ، وشكوكه في أن هدف ( هنريك ) يفوق التجسس كثيرا ، ويتجاوز إلى رغبة جنونية في القوة والسيطرة ، ولن يدعشه أن يكون هدف ذلك المحنون هو احتلال ( كندا ) كلها ، بل وربما يتجاوز ذلك إلى احتلال الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

ولكن كيف يتفق ذلك مع إرساله كل هذه الأعداد من الحواري إلى ( مصر ) ؟ ..

ما علاقة ( مصر ) باحتلال ( كندا ) أو الولايات المتحدة ؟ ..

كلًا .. هناك هدف جنوني يسعى إليه ( هنريك ) .. هدف يفوق أقصى ما يمكن أن يتخيله ( أدهم ) ..  
هدف قد يبلغ حد السيطرة الكاملة ..  
السيطرة على العالم أجمع ..

\*\*\*

زاد هذا الكشف من حماس ( أدهم ) ، وإصراره على تدمير ( هنريك ) ومنظمته ، وجيشه الخاص كله ، فاتجه بخطوات ملؤها الإصرار والعزم نحو مصعد كبير ، واستقله لينقل إلى الطابق العلوي ، الذي يحججه سطح المبنى ، وتبين له أن هذا الطابق لا يحوى أية متاعل ، يحكمها أن تقومه إلى سطح المبنى الذي يحكم ( هنريك ) استغلاله ، ولكن إصراره على الوصول إلى ( هنريك ) جعله يدلف إلى حجرة خالية . تطل نافذتها على إفريز حديق ، يتصل بفتحة التهوية الخاصة بمصعد ( هنريك ) الخاص ، وغادر الحجرة غير النافذة ، وتطلق بالإفريز

الضيق ، وتحرك نحو لوحة التوبة ، ثم طرح بجسده داخلها ،  
وتعلق بحافتيها ، وألقى نظرة إلى أسفل ، حيث توقف المصعد  
الخاص في الطابق الثالث ، وتعلق بأسلاك المصعد ، وأخذ  
يبطئ إليه في سرعة ، حتى استقر على سطحه ، ووقف ساكنا  
بعض الوقت ، ثم فتح فجوة الأمان في سطح المصعد ، ودفع  
لوحة مدلعه الرشاش في عذسة آلة التصوير ، فحطمها بضربة  
قوية سريعة ، وقفز داخل المصعد ..

وفي حجرة مكتب ( هنريك ) ، توقفت شاشة البث  
الخاصة بالمصعد عن نقل الصور ، وكان هذا خليقا بأن يحلق  
قلب ( هنريك ) ، ويصرخ هو في تولر وذفر ، إلا أنه من  
العجيب أن ( هنريك ) اكتفى بالتلويح بكفه في هدوء ، وهو  
يقول له ( لون دريك ) :

— أمر الرجال بتفقد المصعد ..

غمغم ( لون دريك ) في فلق :

— ولكن ....

فاطمه ( هنريك ) في برود :

— افعل ما أمرك به .

ثم استرخى في ثقفه ، وأشعل سيجارًا فاحصرًا ، نفث  
دخانته في هدوء ، مستطردًا :

— جاء دؤري لأقول لك : اطمئن يا ( لون دريك )

إن كل شيء يسير على ما يرام ... كل شيء ..

اتجه الحراس الأربعة لتفقد المصعد ، طبقا لأوامر

( هنريك ) ، وشهر كل منهم مسدسه ، وضغط أحدهم على

زر باب المصعد ، فالتفت الباب في هدوء ..

ولكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد مما يكون عن الهدوء

كان عاصفة ..

عاصفة اسمها ( أدهم صبرى ) ..

\*\*\*

لم ينجح رجل واحد ، من الحراس الأربعة ، في إعطاء

وصف دقيق لما حدث ، بعد فتح باب المصعد الخاص ..

كل ما اتفق عليه الأربعة ، هو أن عاصفة من القبطات

والزكالات قد اندفعت من المصعد ، وهوت على أروفيهم

وفكروهم ومعداتهم في سرعة وتعاقب مدخلين ، وأن الظلام

قد ساد فجأة ، واكتفى عقولهم وأجسادهم ، قبل أن يدرك

أحدهم ما حدث ، على الرغم من أنهم موقوفون للقتال العنيف

الدروس ..

( أدهم ) وحده كان يستطيع أن يعطى ذلك الوصف

الدقيق ، فهو الذي حطم ألف الحراس الأول ، وهشم أسنان

الثاني ، وغاص بقبضته في معدة الثالث ، وهوى بلكمة على مؤخرة الرابع ، قبل أن يمنحهم الفرصة لمقاتلته .

وهو الذي اندفع بالدفع الرشاش ، الذي استولى عليه من الخاروس ، الذي يتحلل شخصيته ، غير الممر الزاخر بآلات التصوير ، متجاهلاً كَوْن ( هنريك ) يراقب ما يحدث في هذه اللحظة .

وهو الذي اقتحم حجرة ( هنريك ) كعاصفة هزجاء .. وهو — وهذا هو المهم — الذي أصيب بالدعشة ، حينما هاجمه فجأة أربعة رجال يُدعى فيهم حراس ( هنريك ) الأربعة الخصوصيين .

كان هجوما مباغتاً ، لم ينتظره ، ولم يتوقعه ، ولكنه حاول أن يواجهه ، فهوى يكعب يندقيه على فلك أقرب الرجال إليه ، ودفع قدمه في معدة الثاني ، ودار على غيبه ليواجه الثالث والرابع ، إلا أنه تلقى لكمة قوية في مؤخرة عنقه ، جعلته يتزلزل في قوة .. وقبل أن يستعيد توازنه وكل أحدهم مدفع الرشاش ، وهوى آخر على رأسه بلكمة قوية ، فدار رأسه في عصف ، وتراقصت المشاهد أمام عينيه ، وحاول أن يتأولم ، ولكن لكمة أخيرة أنهت الصراع ، وألقته فاقداً للوعي

وسط حجرة ( هنريك إدوارد ) ، الذي ضم راحته أمام وجهه ، وهو يقول مستنأ في ظفر وأرتياح :

— إنه لا يتعلم بسرعة للأسف .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطوذاً في هدوء :

— انقلوه إلى حجرة اخبارات التجميع .

وارتمست على شفته اصنامة ساحرة شامخة ، وهو يردد :

— لقد حصلنا على حيوان تحارب حديد ..

\*\*\*

قليلت ( منى ) في مقعدها داخل الطائرة ، وزفرت على نحو نقل إلى ( قدرى ) حفيفها وضجرجها ، فالتفت إليها يسألها في قلبي :

— ماذا بك هذه المرة ؟

لوححت بكفها ، وهي تقول في خنق :

— ألا توجد وسيلة أسرع للسفر إلى ( كندا ) ؟

ابنسم وهو يقول :

— ستوجد وسائل أكثر سرعة في المستقبل بالتأكيد . أما الآن فالرحلة تستغرق عشرين ساعة على الأقل تقديراً ، ولم يقد



أمامنا سوى خمس ساعات ، وبعد ما ستحتاج إلى خمس ساعات  
أخرى للوصول إلى ( بافن ) ، والله ( سبحانه وتعالى ) يعلم  
مضى نصل إلى ( السمر ) .

زهرت مرة أخرى في ضيق ، وهي تقول في قولك :  
— ونحن نتصور أننا نهجر بأقصى سرعة لمعاونة  
( أدهم ) ؟

عقد حاجبه وهو يفهم :

— ( أدهم ) هو غير من يحاول نفسه يا ( منى ) ..  
صدقتي .. إن وجودنا بالنسبة إلى ( أدهم ) لن يساوى أكثر  
من حصة صغيرة تحاول مساندة جبل ..

غمضت في صوت أقرب إلى البكاء :

— ولكن قلبي يشعر أنه في خطر يا ( قدرى ) .. عطر  
هائل ..

\*\*\*

أحاط الظلام بعقل ( أدهم ) طويلاً ..

ظلام دامس عميق ، ماله من قوار ..

ثم ظهر بصيص من الضوء وسط الظلام .. واتسع ..  
واتسع .. حتى عاد ذهنه إلى وعيه دفعة واحدة ..

وشعر ( أدهم ) بصداع شديد ، وبآلام هائلة في عنته  
وكتفيه ، وكشف منذ اللحظة الأولى أنه ممدد فوق مائدة رخامية  
باردة ، مكبل المعصمين والقدمين بقرود حديدية مثبتة  
بالمائدة ، ففتح عينيه في مطء ، ليظلمه وجهها ( هنريك )  
و ( لون دريك ) ، بائسهما الساحرين الشامتين .. مما  
جعل ( أدهم ) يتجاهل الآلام وأوجاعه ، ويرسم على شفاهه  
إبسماء ، أودعها أكبر قدر من السخوية وهو يقول :

— يا إلهي !! لم أكن أتصور أن أعمالي قد بلغت هذه  
الدرجة من السوء ، إنني في الدرك الأسفل من الجحيم  
ولاشك ، فأنا أرى وجهي أشع وأفتح شيطانين في جهنم  
كلها .

عقد ( لون دريك ) حاجبه ، واحزن وجهه في غضب ،  
في حين ابتسم ( هنريك ) في هدوء ، وهو يقول :

— يبدو أنك لا تفقد روحك المرحية أبداً يا مستر  
( أدهم ) .

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة عالية ، جعلت ( لون دريك )  
يستغيظ غضاً ، ويحف في سخط :

— ستدفع ثمن كل هذا أيها المسحوق .. إنني سأ ..

قاطعه (عريك) بإشارة صارخة من يده . وواحد  
(أدهم) ، قائلاً في هدوء :

— رابع يامستر (أدهم) .. إليك رجل نادر حق . إنك  
مصاب برصاصة في كتفك ، اخترقته من الأمام ونفذت من  
الخلف ، ولكنك — على الرغم من ذلك — أوقعت ثلاث  
طائرات ، ولجحت في الوصول إلى هنا ، وعقدت رجال  
حراسة المبنى ، ونسّلت إليه خدعة ماهرة ، وقائلت أربعة  
رجال أشداء ، وهزمتهم في أقل من نصف الدقيقة .. إنك رجل  
رائع بحق .

ثم مَطَّ شفيه . ورفع شبايته أمام وجهه ، وهو يستدرك :  
— ولكنك لا تتعلم بسرعة .

وتنهَّد قبل أن يُردف في هدوء :

— لقد تضرّعت بحكمة وذكاء ، حتى وصلت إلى المبنى .

وبعدها اتجهت بلا مبرر إلى مخازن الذخيرة .. وأخذت تتأمل  
مخزنها إلى دُخشة واضحة ، جعلت أرقاب في أمرك : وألا  
أشاهدك على إحدى شاشات الرصد ، فتابعتك وأنت تصعد  
إلى الطابق العلوي ، وتعبّر النافذة .. ولقد كان من السهل أن  
أتوقع أنك ستسأل عن فتحة التهوية لمصعد الحاصل ، ولقد  
سار كل شيء كما توقّعت تماماً .



وتكشف منذ الوهلة الأولى أنه مخدع فوق مائدة وخامية  
باردة .. مكمل المعصين والقدمين ..

ثم انضم في زحفه ، وهو يواصل :

— وقبل أن يتألمك الفجر ، وأنت تتصور أنك قد هزمت  
حراسي الأربعة ، ينبغي أن تعلم أن هؤلاء الرجال الأربعة ،  
الذين حطمتهم بقضيتك وقدميك لم يكونوا رجال حراسي  
الخصوصيين ، بل مجرد أربعة حراس عاديين .. فلهما بلغت  
براعتك .. لن يمكنك هزيمة أربعة رجال في قوة ومهارة حراسي  
الخصوصيين يا مستر ( أدغم ) .. ولكنك — وعلى الرغم من  
ذلك — أثرت إعجابي بشدة ، مما دفعني لطلب المزيد من  
المعلومات عنك ، من ( الموساد ) .

عقد ( أدغم ) حاجيه ، وهو يسأله :

— هل تنتمي إلى ( الموساد ) ؟

نصف ( هنريك ) في استكثار :

— ( الموساد ) ؟ .. كلاً بالطبع .

وعادت إليه إجابته ، وهو يستطرد :

— إن هدف دولة ( الموساد ) هو : « من التيسل إلى  
الضرات » ، كما يقولون دائماً ، على الرغم من لقني باستحالة  
تحقيقهم في تحقيق هذا الهدف ، إلا أنني أراه هدفاً شديداً  
التواضع ، فهذا أنا يتجاوزته كثيراً ..

وبرقت عيناه على نحو أقرب إلى الجسور ، وهو يرفع  
هامته . ويقول في فخر :

— هذا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يا مستر  
( أدغم ) .. من شرقى ( روسيا ) وإلى غرى الولايات  
المتحدة ..

ثم مال نحو ( أدغم ) ، وهو يردف في الفعل حاسي  
قوي :

— إن هذا هو احتلال العالم .. العالم كله يا مستر  
( أدغم ) .

\*\*\*





## ١٢ - إمبراطور الجنون ..

نصت دقيقة كاملة و ( أدهم ) بخذق في وجه ( هنريك )  
في دهشة مألوفة ..

كان ما تطلق به ( هنريك ) هو نفسه ما فكر فيه ( أدهم ) ..  
إلا أن الحقيقة أدهشته ..

وفجأة .. وجد ( أدهم ) نفسه يهتف في سخط :

— يالك من مجنون !

برفت عينا ( هنريك ) في وحشة ، وصاح وهو يلوح بذرأعيه  
في قوة :

— مجنون !؟ .. مجنون لأنني أسعى لتحقيق حلم زعماء  
البشرية منذ الخليقة !؟ .. سترى ما الذي سيفعله هذا الجنون أيها

المصري .. سترى كيف سأصبح يوما إمبراطور كوكب الأرض ..  
هتف ( أدهم ) في حدة :

— إمبراطور كوكب الأرض !؟ .. بل قل إمبراطور الحمقى  
والجانين ! .. إن السيطرة على العالم أجمع حلم بعيد المنال أيها

الوغد .. لقد فشل عظماء قبلك ! لأنهم فكروا في هذا ..

حاول أن تقلب صفحات التاريخ ، وستجد أنك لست أول من  
يتساه بهذا النوع من الجنون .. لقد سبقك إليه  
( الإسكندر الأكبر ) ، و ( نابليون بونابرت ) ..  
و ( أدولف هتلر ) .. و

اندفع ( فون دريك ) يهتف في غضب :

— لم يكن ( أدولف هتلر ) مجنونا .. لقد كان عقربيا ..  
كان أعظم زعيم سياسي في العالم

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا واضح أيها الأملال .. وأبرز أمثلة وصوحه هو  
انتحار عقربك هذا ، بعد أن حطّم اقتصاد دولته وجيشها  
تخلعه الجنون

ثم ( فون دريك ) بالاستكثار الغاضب مرة أخرى ،  
ولكن ( هنريك ) اندفع يقول في حدة :

— فليكن ( هتلر ) عقربيا أو مجنونا ، وليذهب إلى الجحيم  
سواء كان هذا أو ذاك .. إنني لست ( أدولف هتلر ) ..

ولست ( نابليون بونابرت ) .. إنني ( هنريك إدوارد ) ..  
وسأصبح عن قريب سيد هذا العالم

هتف ( أدهم ) في حق :

— وكيف تنوى أن تحقق هدفك أيها الإمبراطور اجنون ؟

زفر ( هنريك ) في قوة ، واستعاد هدوءه فجأة ، وهو يستدل قائلاً :

— نعم .. هذا هو السؤال الصحيح .

وبدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وفي تواتره ، وهو يستطرد :

— إن العالم الآن على حافة بركان أيتها المصري ..

( روسيا ) و ( أمريكا ) تنقض كل منهما بالأخرى ..

( إسرائيل ) تنحرف بالدول العربية في الشرق الأوسط ..

( آسيا ) تتهب بصراعات داخلية .. و ( إفريقيا ) تحارب

الشرقة العنصرية .. و ( أوروبا ) تتهب بصراعات طائفية

وإثاريات اقتصادية ، و ( أمريكا الجنوبية ) تشتعل

بالانقلابات التي لا تهدأ ولا تستقر .. انظر إلى العالم كله :

تحده يتناحر ويتصارع ، فيما عدا هنا .. في ( كندا ) ، على

مشارف القطب الشمالي .. ومن هنا .. من الجهة التي

لا يتوقفها أحد ، سيداً غزو العالم ..

غمغم ( آدم ) في سخرية :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .

تجاهل ( هنريك ) هذا التعليق ، وهو يستطرد في نشوة :

— لن يمكنك أن تتصور عدد الجواسيس الناعمين في ، في

كل الدول ذات المواقع الحيوية ، والاستراتيجية في كل أنحاء

العالم .. حتى أنا أعجز عن معرفتهم ، لولا أنني أحفظ بكل

المعلومات عنهم في أسطوانة كمبيوتر دقيقة ، داخل خزانة سرى

في حجرى .. يكفي أن تعلم أن مرتباتهم الشهرية تكلفني عشرة

ملايين دولار .. هل يتبعك هذا فكرة عن عددهم ؟ .. إن

مهمة هؤلاء الجواسيس هي جمع أكبر قدر من المعلومات عن

تلك الدول ، واستغلال نقاط الضعف والخطأ في أنظمتها

وحكوماتها ، وإهليل شعوبها لإشعال الفتن والثورات ، حينما

نحين ساعة الصفر .

وأطلق ضحكة شيطانية جنونية ، قبل أن يردف في

انفعال :

— وفجأة .. وفي ساعة أحدها أنا ، تشتعل الثورات في

كل الدول الكبرى ، وستلهم النيران أمنها الداخل ، وفي نفس

اللحظة تشتعل الشرارة من هنا .. من ( الصين ) ، وسأشن

الحرب على كل النظم والدول ، في الوقت الذي يمحزون فيه

عن قتالي ، وهذا هجومى ، ولن أعصى وقت طويل حتى

يستسلم الجميع ، وأصبح أن إمبراطور العالم ..

مط ( أدهم ) شغيد ، وهو يقول في الزنداء :  
— أسخف وأتفه لحظة سمعها في حياقي كلها . إن لحظتك  
لا تصلح لإحلال قرية صغيرة في دولة من دول العالم الثالث .  
صرخ ( هنريك ) في غضب :  
— سري .

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول في شماته :  
— كلاً . إنك لن ترى . لن تكون هنا لرى .  
وأشار إلى الحجرة التي يقف فيها ، وهو يقول :  
— هل تعرف ما هي هذه الحجرة يا مسر ( أدهم ) ؟  
إننا نطلق عليها اسم حجرة اختبارات التجميد ، وهنا يتم تجميد  
أسماكنا قبل تصديرها ، ونحن نستخدم لهذا غاز النيتروجين  
السالل ، بحيث يتم التجميد خلال دقيقة واحدة .  
وانحنى نحو ( أدهم ) ، وهو يردف في سخرية :  
— هل سبق لك أن رأيت شبكة قطبية مجمدة يا مسر  
( أدهم ) ؟

ابسم ( أدهم ) في سخرية ، وهو يقول :  
— إنها تبدو أجمل منك بالتأكيد .  
مط ( هنريك ) شغيد ، واعتدل قائلاً :

— إنك لا تصلح للتظاهر يا مسر ( أدهم ) .  
ثم لوح بذراعه ، قائلاً في الضحك :  
— أراهن أنك ستبدو أكثر وسامة داخل قالب من الطنج  
يا مسر ( أدهم ) .

وأطلق ضحكة ساحرة ، قبل أن يسأله :  
— إلى أين تحب أن تصدرك يا مسر ( أدهم ) ، بعد  
تجميدك .

ابسم ( أدهم ) في سخرية ، وهو يقول في برود :  
— اطمئن أيها الوغد . إنك لن تجد الفرصة لذلك .  
عقد ( هنريك ) حاجبه في غضب ، وأشار إلى رجاله قائلاً  
في صرامة :

— فليغادر الجميع حجرة التجميد ، وليستعد الضيوف  
لإجراء عملية تجميد خاصة .  
ثم انصت إلى ( أدهم ) ، وقال في برود شديد :

— الوداع يا مسر ( أدهم ) .  
أطلق ( أدهم ) ضحكة ساحرة ، وشاهد الجميع يغادرون  
حجرة التجميد ، ويفلقونها خلفهم في إحكام ، وبداله جرحها



شديد البرودة ، ونحيل إليه أنه يرى الموت وهو يزحف نحوه ،  
في رداء للجنى ..  
رداء تحت الصفر ..

\* \* \*

( نهاية الجزء الأول ، ويليها الجزء الثاني )

[ المجلد المشتغل ]

---

رقم الإيداع : ٣٦٩٩

---